# ليالي شهرزاد

## رواية

الدكتور

كرم علام

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

| البيانات | | | |
|---|---|---|---|
| عنوان الكتاب - Title | رواية ليالي شهرزاد | | |
| المؤلف - Author | الدكتور / كرم علام | | |
| الطبعة - Edition | الأولى . | | |
| الناشر - Publisher | العلم والإيمان للنشر والتوزيع . | | |
| عنوان الناشر Address | كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات ميدان المحطة.<br>تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١<br>فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١ | | |
| بيانات الوصف المادي | عدد الصفحات Pag. | مقياس النسخة Size | التجليد |
| | ١٦٨ | ٢٤,٥ x ١٧,٥ | -- |
| المطبعة - Printer | الجلال . | | |
| عنوان المطبعة Address- | العامرية إسكندرية. | | |
| اللغة الأصل | اللغة العربية . | | |
| رقم الإيداع | ٢٠٩٩/ ٢٠٠٨م | | |
| الترقيم الدولى I.S.B.N. | 977- 308 -174 - 5 | | |
| تاريخ النشر - Date | 2008 | | |

كان الليل قد أرخى سدوله على القصر، وفى تلك الغرفة الفسيحة لم يكن هناك مصدر للضوء سوى ذلك الشمعدان الفضي فى ركن الغرفة وقد انتصبت عليه شمعات ثلاث انبعث ضوءها الهادئ فى جنبات الغرفة. وكان السكون مطبقاً فلا يُسمع سوى صوت خافت تصدره الستائر الحريرية عندما تداعبها نسمات رقيقة محملة بشذا أزهار البستان الممتد وراء شرفات القصر.

وعلى الركن المقابل للشمعدان الفضى كان "شهريار" متكئاً على إحدى الطنافس فوق سريره الفسيح وهو يحك ذقنه بسبابته ناظراً صوب الستائر الحريرية متأملاً حركاتها الانسيابية أمام هبات النسيم ولم يُحرك ناظرية إلا عندما سمع وقع خطوات تقترب من موضعه فبدأت ملامح العبوس ترتسم على وجهه وما هى إلا لحظات حتى تبدت شهرزاد من وراء الستائر المسدلة على مدخل الغرفة فاهتزت الأركان بشذا عبيرها الفوّاح الذى يخترق الأنف فيخدّر الروح وأشرقت على مجلس شهريار كما يشرق القمر على الكون المظلم فيجلوا محاسنه فترى العين فيه جمال كل جميل.

قــال شــهريار وهــو يقلــب بصــره فــى الغرفــة متشــاغلاً عــن النظر إليها:

- ها هو شهريار الذى تقف على بابه الملوك تعد الليالى والأيام حتى تظفر برؤياه، يجلس الليلة فى انتظار شهرزاد وهى تتدلل عليه.

فأتاه صوتها الرقيق العذب يقول فى نعومة: معاذ الله يامولاى والله ما أخرنى عنك سوى رغبتى فى أن أبدو فى عينيك كما تحب أن ترانى.

نظر إليها شهريار فانعقد لسانه عن الكلام، كانت ترفل فى ثوبها الحريرى وقد أشرق وجهها كنجم لامع فى ليلة حالكة الظلام، خُيّل إليه أنه يراها لأول مرة! ورآها كلؤلؤة لم تُفتح عنها صدفتها إلا فى هذه اللحظة وقال لنفسه. لا يمكن أن تكون هناك من هى أجمل من هذه المرأة وحدّق فى عينيها النجلاوين فاجتاحه طوفان من المشاعر الغريبة واللذيذة فى نفس الوقت، فأغمض عينيه للحظة واستجمع قواه ثم قال (وهو يفتح عينيه):

- سأعفو عنك هذه المرة، ولكن إياك أن تظنى أنك أصبحتى فى منأى عن سيف مسرور وأنى أصبحت عبداً لحكاياتك.



- حاشا لله يا مولاي، فشهرزاد أقصى ما تصبو إليه في هذه الحياة أن تصبح كلمة تدخل السرور على قلب مولاها وتؤنس لياليه..

قالت ذلك وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عذبة تذيب الجلمود الصخر، فقال شهريار:

- قلت لك أني قد عفوت عنكِ وكُفّي حديثاً في هذا الأمر فإني سائِلُكِ عن أمرٍ وأريد جوابك عنه.

- سل وخادمتك تجيب يا مولاي.

- الحُب...

ثم صمت. فنظرت إليه شهرزاد نظرة مندهشة وأحست بسعادة الظافرين، يبدو أنها ستجني ثمار لياليها الطويلة فها هو الطاغية الجبار يسألها عن الحُب، فقالت له وهي تبتسم:

- ماذا عنه يا مولاي؟

فقال: أريدك أن تحدثيني عن الحُب وأثره في المحبين هل يمكن له أنه يجعل الجبان شجاعاً؟

أردف وهو ينظر نحوها نظرة يملؤها الخبث والدهاء:



- أو يجعل الباطش الجبار ليّناً سَلس القياد أو يجعل الأسد الهصور مستأنسا كالأرنب؟

أغضت شهرزاد عن الجزء الأخير من سؤاله وقالت:

- سأحكى لك الليلة يا مولاى حكاية ترى فيها إلى أى حد يستطيع الحُب الصادق أن يصنع فى المحبين..

قال شهريار :- "أحكى يا ساحرة الألباب"

فابتسمت شهر زاد وقالت:

- بلغنى أيها الملك العظيم ذو القلب الرحيم أنه فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان كان هناك ملك عظيم الشأن ذو سطوة وصولجان يسمى الملك جولان. يحكم بلاد مترامية الأطراف تبارت فى وصف عظمتها الأقلام تسمى بلاد الأحلام. ولم يكن للملك جولان أبناء سوى ابن واحد فقط يسمى "جعفر"

نَشّأ الملك جولان ابنه كما ينبغى أن ينشأ الأمراء فربّاه على الفروسية منذ الصغر. وأدناه من مجلس الحكم فلا يكاد يفتقده فى مجلس من هذه المجالس حتى يعاتبه فى ذلك عتاباً شديدا حتى شب فارساً محنكا فى أمور الحرب وأمور الحكم ولكن لما بلغ مبلغ الشباب

أبدى ولعاً شديداً برحلات الصيد ومجالس السمر فلا يكاد يعود من رحلة صيد ويمكث فى قصره أياماً حتى يخرج فى رحلة أخرى ولا تكاد تمر ليلة دون أن تقام عنده مجالس السمر فيستمع إلى شعر الشعراء وقصائدهم المغناة من المغنين والمغنيات.

كان الملك جولان يشعر بقلق شديد إزاء ما يرى من أفعال الأمير "جعفر" وفى ليلة من الليالى دخل الوزير "صفوان" على الملك جولان حيث كان يجلس فى إحدى شرفات القصر المظلمة وقد علاه الهم الشديد. فقال الوزير:

- مولاى الملك. أغفر لى جرأتى فى سؤالك.

- عن اى شىء تبغى السؤال؟

- عن سبب ضيقك منذ فترة ليست بالقصيرة.

- الأمير جعفر يا وزيري...

- ماذا به يا مولاى؟!

- أخشى عليه من نفسه، وأخشى على المملكة منه.

- لماذا يا مولاى؟؟

- ألا ترى إلى ما آل إليه حاله وما استحدث من أمره يا وزير.

- نعم أرى ذلك يا مولاى، ولكن ذلك لا يقلقنى فأنا على يقين من أن ذلك أمر طارئ وأنه إذا دعا الداعى لأمر جلل سترى الأمير كما تحب أن تراه يا مولاى.

- أرجو من الله أن يكون كلامك صواب يا صفوان.

- سيكون كذلك بإذن الله يامولاى ويمكنك أن تعهد إليه بمسئولية أصغر من مسئولية الحكم لترى ما سيصنع فيها كما أنها قد تساعد فى تقويم أحواله.

- وما تلك المسئولية يا صفوان؟

- الزواج يا مولاى.

- الزواج؟!

- نعم يا مولاى الزواج، هو الذى سيجعل الأمير يشعر بالمسئولية ويتخلى عن حياة اللهو ويتفرغ لعظائم الأمور- ومما سيساعد على ذلك أكثر يا مولاى أن تخطب له أميرة حكيمة ذات فهم وسداد رأى.

- نِعمَ الرأى يا صفوان سأحدثه فى الغد، فى شأن هذا الزواج.



في اليوم التالى أرسل الملك جولان إلى الأمير جعفر يطلب اليه الحضور إلى قصره، ومع وصول الأمير إلى مجلس الملك كان الملك يجلس فى حديقة القصر على إحدى الوسائد الحريرية إلى جوار إحدى الفسقيات. فاستقبله الملك بابتسامة مشرقة وأجلسه إلى حواره وبدأ معه حديث ودود سأله حلاله عن أحواله ورحلات صيده ومجالس السمر التى يقيمها فى قصره، كان يسأله عن ذلك كله بلهجة لا تخلو من دُعابة حتى لا يتسبب فى إحراجه وكان الملك فى أثناء الحوار يسترق النظر إلى الأفق كمن ينتظر قدوم شخص ما، وما هى إلا فترة وجيزة وصل بعدها الوزير "صفوان" وإلى جواره يمشى طفل صغير فى العاشرة من عمره يرتدى حُلة بديعة يرفل فيها كالملاك الصغير كان يسير واضعاً كفه الصغير فى كف الوزير، ما كاد الملك "جولان" يراهما حتى أشرق وجهه بالبشر وهش لهم وقال:

- مرحبا بالوزير "صفوان" وبالأمير الصغير "مروان".

ثم قال محدثا الوزير:

- ما أجمل حفيدك يا صفوان..



فقال الطفل الصغير: أكرمك الله يا مولاى وما حُسني - إن كنت بالحسن- إلا قبس من نور وجه مولاى الملك.

فقال الملك: - ما شاء الله. والله ما أرى إلا شيخاً حكيماً فى عباءة طفل صغير، هكذا تكون أخلاق الأمراء والنبلاء.

فقال مروان : أدام الله فضلك يا مولاى، فقد أثنيت على بما لست له بأهل ونظرت إلىّ بعين كرمك نظرة عطف هى خير عندى من كل فضل.

كان الملك يستمع إليه وهو مندهش حتى فرغ من كلامه فقهقه الملك وقال:

-كفى كفى أيها الحكيم الصغير فوالله إنى لأخشى ألا أستطيع مجاراتك فى الحوار.

ثم أمر له الملك بألف دينار وأجلسه إلى جواره وظل يداعبه وهو ينظر بين الفينة والفينة إلى الأمير "جعفر" وبعد فترة من الوقت أستأذن الوزير فى الانصراف فأذن له الملك فانصرف هو وحفيده والملك يشيعهما بنظراته حتى اختفيا فاسترخى الملك فى جلسته وأرسل بصره نحو الفراغ ناظراً إلى اللا شئ وتنهد بعمق ثم قال:



- ما أجمل الأطفال الصغار، إنهم بهجة الحياة، ملائكة يمشون على الأرض.

ثم نظر ناحية الأمير الذى كان يجلس صامتا ويبدو أنه أدرك ما يرمى إليه الملك، أما عن الملك فقد استطرد موجها كلامه للأمير وقال:

-اشتاقت نفسى لأرى أبنائك يا بنى، فأنت ابنى الوحيد وحامل اسم أجدادك ومجدهم..

قال الأمير فى هدوء وأدب جم: لكل شئ أوان يا مولاى.

قال الملك: ومتى يكون ذلك الأوان يا بنى أما ترى تلك المساحات البيضاء التى تتسع يوما وراء يوم فى شعرى، أخشى أن تدركنى المنية قبل أن أرى أبنائك.

- أطال الله عمر مولاى ومتعه بالصحة والعافية.

- ذلك قدر الله المقدور، دعك من هذا الأمر وخبّرنى لماذا لا تتزوج ولا تقل لى لكل شئ أوان، فإنى لا أدرى ما يمنع أن يكون ذلك هو الأوان.

- لا أقصد يا مولاى أن الوقت ليس وقت زواج ولكن أين هى العروس.

- ما أكثرهن يا بنى، فمن من أهل الأرض لايتمنى مصاهرة الملك جولان وابنه الأمير جعفر.

- ليس هذا ما يهم يا مولاى، ليس المهم من يرغب فى مصاهرة الأمير جعفر ولكن المهم من يرغب الأمير "جعفر" فى مصاهرتهم.

- ألا ترى فى الناس من يستحق المصاهرة؟

- لم أتحدث عمن يستحق ومن لا يستحق يا مولاى...

- فعمّ تتحدث إذن؟

فصمت الأمير لبرهة فكرر الملك سؤاله:

- قُل لى عم تتحدث؟

وبعد تردد قصير أشار الأمير "جعفر" إلى قلبه وقال:

- أتحدث عن هذا يا مولاى.

ابتسم الملك ابتسامة واسعة وقال وهو يشير بإصبعه نحو صدر الأمير:

- وماذا عن هذا أيها الأمير؟

فقال الأمير وقد شجعته ابتسامة الملك وأسلوبه فى الحوار:



- إن لهذا القلب يا مولاى نداءاً لا يأتى إلا فى وقته، نداءاً يوقظ صاحبه من سباته العميق.

- أتقصد أنك ستظل فى ثباتك حتى ينادى عليك قلبك فتلبى ندائه.

فصمت الأمير، فقال الملك مبتسماً:

- وإذا لم ينادى عليك فؤادك فماذا أنت صانع؟

قال الأمير:

- لا بد له من أن ينادى يا مولاى. ذلك قدر مقدور.

- وإذا لم تنتظر ندائه يا بنى ماذا عساه يحدث.

- سأعذبه ويعذبنى يا مولاى، ستعتصره الآلام ويتقلب على جمر الوحشة وعندها سيحيل هو حياتى إلى ليل طويل، ليل لن يشرق له نهار ولن يجلو ظلامه قمر، طالما ظل هذا الفؤاد مغلوب على أمره.

عندئذ قال الملك:

- والله يا بنى ما كنت أبغى إلا ما فيه راحتك، أما وقد قلت لى ما قلت فإنى لن أحدثك فى هذا الشان بعد اليوم حتى تكون أنت من يطلب ذلك.

قال الأمير:

- شكرا لك يا مولاى على فضلك وكرمك. ثم أستأذن الأمير فى الانصراف وانصرف.

***

أمسكت شهرزاد بسكين وقطعت بها تفاحة إلى شان قطع أمسكت إحداها وأطعمتها شهريار فى فمه فأخذ يمضغها وهو ينظر إلى فراغ الغرفة حتى أنتهى منها وهو صامت ثم مدت شهرزاد يدها بقطعة أخرى نحو فم شهريار فردّها بيده ثم نظر إلى شهرزاد نظرة شاردة وقال

- لماذا لم يستجب أمير حكايتك لمطلب أبيه فى الزواج؟

- أظن أنه أدلى بحجته فى عدم قبول مطلب أبيه يا مولاي!

- ولكنى لا أقبل تلك الحجة وأرى أنها ليست بالقوية!!

صمتت شهرزاد وقال هو:

- كان ينبغى أن يحقق رغبة أبيه الذى سينتقى له زوجه عظيمة بكل المقاييس أو ينتقيها هو لنفسه. لماذا لا يفرض سلطانه على كل شئ بما فى ذلك قلبه. هكذا يفعل الأقوياء!!

- إنه يبحث عن سعادته يا مولاى وقد قال إن فرض سلطانه على قلبه سيجره إلى ليل طويل من الهم والكدر لا قبل له بمواجهته".

- أوَ يظن أن الحب لن يسقيه من نفس الكأس ؟..

ابتسمت شهرزاد فى دهاء ونظرت إليه وقالت: لست أدرى يا مولاى، وأنى لأراك قد غدوت خبيراً بالحب وأحوال المحبين.

تجاهل شهريار كلمتها وقال مكملاً حديثه:

- سيظل أميرك هذا فى رقاده حتى ينادى عليه قلبه - كما يقول فيستيقظ على حلم جميل لا يلبث أن يتحول إلى نار يصطلى بها هو وفؤاده بعد أن كان يُمنىّ نفسه بمورد طيب الشراب يرشف من رحيقه ليل نهار ولا يعلم أن الحب داء كالدواء أو دواء كالداء.

قالت شهرزاد:

- لندع الحكاية تخبرنا بما كان من أمر الأمير يا مولاى.

-حسناً فلتكملى يا شهرزاد.

قالت شهرزاد:



- بلغنى يا ذا العقل الرصين يا خبيراً بأحوال المحبين أن الأمير "جعفر" ظل على حاله كما هو من اللهو والترف ورحلات الصيد ومجالس السمر وأن الملك قرر ألا يحدثه فى أمر الزواج بعد ما دار بينهما من حوار

وفى يوم من الأيام استقدم الملك "جولان" أبنه الأمير إلى مجلسه وأخبره بأن الملك "سولان" ملك بلاد المرجان قد أرسل إليه الرسل يدعوه لحضور حفل زواج أبنه الأمير "غسان" من إبنة الملك "سنجال" ملك الجبال وأن الطبيب نصحه بالراحة وأن يتجنب بذل أى جهد، وطلب الملك من الأمير أن يسافر بدلا منه لحضور حفل الزواج حاملا معه التحيات والهدايا للملك "سولان" والملك "سنجال" فأجاب الأمير "جعفر" بالسمع والطاعة ثم أستأذن وانصرف ومضى يعد العدة للسفر.

سافر الأمير "جعفر" مسيرة تسعة ليالى حتى وصل إلى بلاد المرجان وفى القصر الملكى استقبل استقبالاً مهيباً يليق به وبأبيه ونزل ضيفاً كريماً على الملك حتى يتم الزفاف بعد أيام قلائل. فى أثناء ذلك تعرّف الأمير جعفر على الأمير "غسان" ابن الملك "سولان" والأمير "مروان" ابن الملك سنجال وأخو العروس وقويت علاقته بهما.



وفى أحدى الليالى أصاب الأمير جعفر أرقٌ وذلك فى أخر الليل فقام إلى شرفة غرفته ليتنسم من هواء البستان العليل. وفى الشرفة ملأ رئتيه من هواء البستان المُحمّل بشذا الأزهار وكان البدر مكتملاً فتأمّلهُ قليلاً ثم دار بعينيه فيما حوله وإذا بقوة هائلة لا يستطيع دفعها تجتذبه من تأملاته. فى إحدى شُرفات قصر مجاور للقصر الذى يقيم فيه كانت هناك فتاة فى ريعان الشباب تجلس على أريكة من الحرير وتتكئ على وسادة من ريش النعام، رشيقة القد صبوحة الوجه ترتدى ثوباً حريرياً فضفاضاً يزيدها حسناً وبهاءً وكان شعرها الطويل الحالك السواد قد انسدل على ظهرها وكتفيها كخيوط الحرير تداعبها نسمات الهواء الرقيقة. كانت متكئة على وسادتها فى سكون وقد تعلّق وجهها الملائكى ببدر السماء لا يفارقه لحظة.

كان الأمير يمعن النظر فيها بينما كانت هى تمعّن النظر فى بدر السماء، أحس باضطراب عام يدُب فى أوصاله وبأن قلبه يخفق فى عنف وقد اجتاحه ذهول أوقفه ساكناً لا يحول بصره عن الجميلة الشاردة. ظل واقفاً فترة غير قصيرة لم يشعر فيها بالزمن حتى قامت الجميلة الشاردة من مجلسها ومشت فى هدوء وخفة - كما تسرى النسمة- إلى داخل

الغرفة. عندئذ استدار الأمير ببطء وتحرك إلى داخل غرفته، استلقى على سريره وظل يفكر فى البدر الذى أشرق الليلة فى سمائه، ظل يفكر ولم يغمض له جفن حتى الصباح.

فى الصباح كان الأمير جعفر يسير مع الأمير "غسان" فى البستان ولا زالت آثار الليلة الماضية بادية عليه، لاحظ الأمير "غسان" شروده وصمته الطويل فسأله عن سبب ذلك فأنكر الأمير وجود سبب لذلك وقال له:

- ربما يكون ذلك هو الشوق للأهل وللديار..

ابتسم الأمير غسان وقال:

- أو هو الشوق لأحد غير الأهل والديار!

عندئذٍ اضطرب الأمير "جعفر" وتلعثم فزادت ابتسامة الأمير "غسان" اتساعاً وقال:

- لقد مررت بما تمر به أنت الآن عندما رأيت غزالي البري..

عندئذ كان بالقرب من الشرفة التى كانت تقف فيها الجميلة فى الليلة الماضية، فأشار الأمير "غسان" إلى تلك الشرفة وقال:

- هنا تسكُن من سلبت فؤادى وسَبَت روحى...

بغتت تلك الكلمات الأمير "جعفر" وأحس بأن جبلاً عظيماً قد هوى على فؤاده، حاول أن ينفوه بأى كلمة فلم يستطيع وعلاه شحوب مفاجئ. نظر إليه الأمير "غسان" وقد لاحظ ما طرأ عليه فقال:

- أما قلت لك أن وراء صمتك قلبا يحترق على نار الشوق.

حاول الأمير "جعفر" أن يتمالك نفسه وأن يدفع عن نفسه نظرات الأمير "غسان" بأى كلمة. لكن الأمير بادره بأن أمسك بذراعه مازحاً ومشيا معاً وهو يقول:

- ان هى إلا أيام تهجرنا بعدها وتعود إلى حبيبة القلب.



عاد الأمير "جعفر" إلى غرفته ولم يغادرها طيلة اليوم ولم يتناول فيها طعاماً وقد أضناه التذكُّر وأرّقه التفكّر، يجاهد لينساها وتستحضر عينيه صورتها فى جمال كل ما ترى، استشرى حبها فى جسده فتركه وقد أهاجت الحُمّى جسده، يحاول أن يهرب منها إلى النوم فما يكاد يُطبق أجفانه حتى تتجسد له فلا يرى من الأشياء غيرها. وهكذا بدا يلوح للأمير "غسان" عُزوف الأمير جعفر عن الخروج من غرفته فبدأ يقلق لأجله فسأله عما أصابه فأخبره أنها وعكة صحية ستزول قريباً فقال له أنه لا بد من حضور الطبيب فشكره الأمير "جعفر" لكنه رأى منه إصراراً على ذلك.

فأخبره بأنه بدأ يتماثل للشفاء وَصَحِبه فى الخروج إلى جولة فى البلدة حاول خلالها أن يتلهى بما يرى عما شاغله. لكنه كما قال المُحِبًّ المتيم

ىَ خليلــى لا والله لا أملــك الــذى نى    ق قضـى الله فـى ليلى ولا مـا قضـى ليـا اا

ا ل قضـاها لغـيرى وابتلانـى بحبهـا ●    فهـلاً بشـئٍ غـير ليلـى ابتلانيـا ا

ف فمـا طلـع الـنجم الـذى يهتـدى بـه ●    ولا ولا الصـبح إلا هيجـا ذكرهـا ليـا ا

ق قضـى الله بـالمعروف منهـا لغيرنـا ا    وب وبالشـوق منـى والغـرام قضـى ليـا ل ا

● هـى السـحُر إلا أن للسـحر رُقيـة ة    وإ وإنـى لا ألفـى لهـا الـدهر راقيـا ا

ذ نكت نار شوقى فى فؤادى فأصبحت ت    ل لهـا وهـجُ مستضـرمُ فـى فؤاديـا ا

هكذا ظل الأمير جعفر مقلقل الأحشاء مضطرب الفؤاد ينتظر يوم الزفاف وكأنه يوم الخلاص لما هو فيه من عذاب حتى يهرب من هذا السجن الكبير.

وبعد شروق شمس الصباح فى أحد الأيام خرج إلى شرفته يتنسم بعض نسمات الصباح علها تلطف من حرارة أحشائه المحترقة وإذا به يراها. كانت ترفل فى ثوب بديع تجمع بعض الزهور فى البستان وقطع عليها عملها ذلك أن سمعت زقزقة أحد العصافير على إحدى الأشجار

فنظرت نحو العصفور وابتسمت فانبعث من ثناياها نور غزا أعماق الأمير الملهوف الذى حاول أن يشيح بوجهه عنها حتى لا يزداد عذابه لكن دون جدوى فهناك قوة عظيمة، قوة أكبر منه تجذبه نحوها، وبينما هو ينظر إليه مشدوها إذ حانت منها التفاتة نحوه وما كاد ناظراهما يلتقيان حتى استدار بسرعة ودخل إلى غرفته لاهث الأنفاس يخشى أن تظن به الظنون.

مضت أيام الانتظار القليلة فى حساب الزمان، الطويلة فى حساب الأمير "جعفر" حتى جاءت ليلة الزفاف...

فى تلك الليلة جاءه الأمير "مروان" أخو العروس يستحثه ليسرع ليمضيا معاً إلى حفل الزفاف. فتهيأ الأمير لذلك ثم مضى مع الأمير "مروان" متهيباً وكأنه يُساق إلى الموت وفى البستان كان هناك حفل عظيم لم ير الراؤون مثله وقد جاء إليه الملوك والأمراء من كل مكان وعلى مقربة منهم كانت الرعية تتمتع باطايب الطعام والشراب وبعد وقت غير طويل جاء موكب الأمير "غسان" وبعد برهة قصيرة أعلن عن وصول موكب العروس فحاول الأمير أن يغض الطرف رأفة بفؤاد المجروح لكن دون جدوى فالقوة التى تجذبه كانت أقوى فنظر إلى حيث يقف العروسان



وعندها كانت المفاجأة التى أذهلته إذ رأى محبوبته إلى جوار العروس ولم تكن هى العروس فهز رأسه كمن يُفيق من ثبات عميق وأمعن النظر فيما يرى أمامه فإذا به يتقين أن محبوبته ليست هى العروس.

بدأ قلبه يتراقص بين أضلاعه.. لكنه تمالك نفسه وقال "لننتظر حتى نرى ما الأمر" ثم قدم على الملك "سولان" وسأله:

- أهذه هى العروس؟

قال الملك:

- نعم إنها الأميرة "زهرة"

عندها سأل الأمير:

- ومن تلك التى تسير إلى جوارها؟

نظر إليه الملك "سولان" مندهشاً لسؤاله لكنه أجاب:

- أنها أختها الصغرى الأميرة "قمر"!

أشرق وجه الأمير بالبشر على حين كان الملك "سولان" يرمقه بين الحين والحين فيراه يديم النظر إلى الأميرة "قمر".

مضى حفل الزفاف رائعا وبهيجا وبعد انقضاءه استدعى الملك سولان الأمير "جعفر" وقال له:

- أعلم يا بنى أن أباك الملك جولان هو أكثر عندى من أخ ولذا فأنا اعتبرك أبنى .

- أعلم ذلك يا عماه وإنى لأشكر لك عظيم إحسانك ومنزلتك عندى كمنزلة أبى.

- إذن فصارحنى بما فى نفسك.

- بما أصارحك يا عماه؟

- الأميرة "قمر".

قالها الملك "سولان" ثم صمت، فكانت مفاجأة للأمير "جعفر" الذى اضطرب وتلعثم قليلاً ثم قال:

- ماذا عن الأميرة "قمر"؟

- أنا من يريد أن يعرف ماذا عن الأميرة قمر. (قالها وهو يبتسم فى حُنو)

- لست أدرى ما الذى يرمى إليه مولاى بالسؤال.

- هل تحبها؟

- كان وقع السؤال عليه كالصاعقة فأخرسه قليلاً ثم حاول بعد ذلك الرد فلم يستطع، فقال الملك وهو يبتسم: لماذا لا تجيب، هل تحبها؟.



- أنا .. أنا .. أنا .. لستُ .. أقصد.

- أنت ماذا .. ولستُ ماذا .. وتقصد ماذا، إنه ليسعدني يا بني أن أخطب أخت عروس أبني الأول "غسان" إلى أبني الثاني "جعفر".

- أنا يا عماه!!

فقاطعه الملك:

- اليوم سنرسل إلى الملك جولان كتاباً نطلب منه مباركة هذا الزواج وبعدها سنرتب الأمر كما ينبغي.

تم إرسال الكتاب إلى الملك "جُولان" وبعد أيام قلائل كان رده قد وصل بمباركة الخطبة مع أحمال الهدايا والنفائس للملك "سنجال" وبعد وصول الرد قام الملك "سولان" بسؤال الملك سنجال" وأفضى إليه برغبة الأمير، فرحّب الملك "سنجال" ترحيباً شديداً وغمرته السعادة فمن من الملوك لا يتمنى مصاهرة الملك شدوان والأمير "جعفر" وهذا فخر لم يصل إليه ملك غيره وقال الملك "سنجال" أنه سيقوم بنفسه بسؤال الأميرة قمر عن رأيها لكن الملك "سولان" أقترح أن تقوم الأميرة "زهرة" بسؤالها عن رأيها.

مضت الأميرة "زهرة" إلى أختها "قمر" وقصت عليها ما جرى وكانت المفاجأة أن عرفت أن الأميرة "قمر" قد انجذبت للأمير "جعفر" منذ صباح قطف الزهور، بل لقد كانت تحلم به، فسُرَّت الأميرة "زهرة" بما سمعت من أختها ثم عادت بالرد السعيد.

بدأ الأمير "جعفر" يجلس إلى الأميرة "قمر" ويتجاذب معها أطراف الحديث فتجلى له ما كان خافياً من رجاحة عقلها وحصافة رأيها وعذوبة لفظها فازداد حبه لها. باحت له بدفين مشاعرها وأخبرته كيف انها انتبهت فى صبيحة يوم قطف الزهور على نظرته نحوها، وكيف انها اثارت فى جسدها قشعريرة لم تدرى مغزاها اول الأمر. ثم أدركت بعد ذلك انها لا تعنى سوى شيء واحد هو التعلق به اذ كانت تعاند نفسها فى الاعتراف بالحب، أخبرته كيف انه ملأ عليها فكرها وخيالها وكيف انها كانت تتحين الفرصة لتراه من حيث لا يراها وكيف كان مراه يدخل السرور الى قلبها ومدى قسوة اليوم الذى يمر دون ان تراه، باحت له بمكنون قلبها فازداد بها هياما.

وتم تحديد موعد الزفاف فى الليلة التى يكتمل فيها القمر حتى يتسنى للعروس اعداد عدة الزفاف على ان يمضى الأمير بعدها بعروسه الى مملكة أبيه.

وذات صباح كان الأمير "جعفر" يسير مع الأمير "غسان" بجوار سور القصر عندما سمع صوتاً ينادى "يا من أحب وتعلق فؤاده بحبيب، تمثال لمن تُحّب يجعله عن ناظريك لا يغيب" فأمَر الأمير جعفر باستدعاء صاحب الصوت، فجاء به الحُراس وإذا به امرأة عجوز تجعّد وجهها وشاب شعرها وتساقطت أسنانها وقد غطت إحدى عينيها بمنديل تمسك فى إحدى يديها بفرع من فروع الشجر وتحمل باليد الأخرى جرابا على كتفها. سألها الأمير جعفر عما كانت تقول فأخبرته بأنها ابدع من يمكن أن ينحت التماثيل فلا ينقصها عن الأصل سوى الروح التى تحركها فقال الأمير "سنرى، وإذا كان ما تقولين فلك عندى كل ما تتمنين" فضحكت بفمها الخالى من الأسنان وقالت "يكفينى رضاك يا مولاى" طلب منها الأمير أن تنحت تمثالاً للأميرة "قمر"، وإن كان كما تقول، فلها وزنه ذهباً، برقت عينها العارية وقالت وهى تنحنى "خادمتك يا مولاى"

مضى الأميران والعجوز إلى الأميرة "قمر" وعرضا عليها الأمر فنظرت إلى العجوز وأحست بالضيق لمرآها دون أن تعلم لذلك الضيق من علّة لكنها وافقت على الفكرة وسألت العجوز "وكم من الوقت سيتسغرق ذلك؟ " فقالت العجوز "يومان فقط يا مولاتي" فتعجب الجميع لكنهم قالوا "سنرى".

بدأت العجوز العمل بجد ونشاط. كانت تبهر الأمراء والأميرات بصنيعها وهي تقول دوماً "والمفاجأة الكبرى ستكون عندما انتهي من العمل.. وفي اليوم الثاني أقبل الجميع ليروا صنيع العجوز التي كانت تنهي عملها ببراعة فتساءلوا :

- ألم تنتهي بعد؟

- قاب قوسين أو أدنى.

كانت تضع بعض اللمسات النهائية للوجه ثم قالت لهم " والآن أنظروا إلى المفاجأة" وأدارت التمثال نحوهم فانبهروا لبراعة صنيعها فقالت هي "والآن إلى المفاجأة الكبرى" ثم ضحكت ضحكة مجنونة ورفعت الغطاء عن عينها الأخرى فإذا لها بريق عجيب وإذا بخيط من



الضوء يخرج منها مُصوباً إلى التمثال فيتوهج التمثال بضوء غريب ثم يختفي ويختفي معه العجوز.

عمّ الجميع ذهول غريب أخرسهم عن الكلام على حين اجتاح الأميرة "قمر" شعور بالانقباض وأحست بالخوف لا تدرى من ماذا.

لم يستطع أحد من أهل القصر معرفة أو تخمين سر العجوز صانعة التماثيل وترك ذلك فى الجميع شعورا بالحيرة الممزوج بالخوف من شئ قد يحدث فى المستقبل القريب. لكن سرعان ما خف تأثير ذلك الحادث العجيب وكاد يتلاشى فى غمار الاستعداد لحفل زفاف الأمير "جعفر" والأميرة "قمر" والذى لم يبق عليه سوى أيام قلائل.

كان الملك "سنجال" يشرف بنفسه على الاستعدادات لحفل الزفاف حتى يكون حفلاً لم يُسمع بمثله فى تاريخ الممالك كلها وجاء الرسول من عند الملك جولان "يعلن أن الملك سوف يحضر بنفسه رغم نصيحة الطبيب له بألا يفعل فازدادت الحمية والحماسة داخل الملك "سنجال" حتى يظهر فى عينى الملك "جولان" كصهر كفؤ له.

وفى صباح أحد الأيام المشرقة كان الملك "سنجال" يجلس فى حديقة البستان عندما أقبل عليه الأمير "جعفر" ليتناولا طعام الإفطار معاً

وما كاد الأمير يجلس حتى نما إلى اسماعهم صياحٌ من ناحية غرفة الأميرة "قمر" وخرجت إحدى الجوارى إلى الشرفة وهى تصرخ وتقول "أدركنا يا مولاى" فهب الملك والأمير مسرعين إلى غرفة الأميرة "قمر" وهناك وجدا الجوارى وقد تحلقن حول جارية سقطت مغشياً عليها وهن يحاولن أفاقتها فلما رأين الملك والأمير أوسعن لهما فتقدما على حين كانت الجارية قد بدأت تستفيق. مضى الملك ومن ورائه الأمير تجاه الجارية والملك يسأل الجوارى عما حدث وأين ذهبت الأميرة قمر. فقالت الجوارى "لا ندرى، كل ما نعلمه أننا سمعنا صراخ الوصيفة فأقبلنا مسرعين فوجدناها مغشياً عليها ولم نعثر للأميرة على أثر".

بدأت ملامح الغضب ترتسم على وجه الملك وأمسك بذراع الجارية وانتهرها بقوة وهو يقول "ما الذى حدث؟" .. فالتقطت الجارية أنفاسها وقالت والذعر يملؤها والكلمات لا تكاد تسعفها:

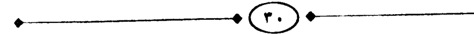
- استيقظت مولاتى الأميرة مبكراً كعادتها وتناولت إفطارها وطلبت منى أن أخرج معها لنجمع الزهور ولكنها ما كادت تتحرك خطوة واحدة حتى صرخت صرخة عظيمة ثم توهجت بضوء غريب

واختفت بعد ذلك فلم يعد لها أثر فصرخت من هول ما رأيت ولم أدر بعد ذلك شيئاً.

فدفع الملك ذراعها بقوة وقام والشرر يتطاير من عينيه وهو يضرب كفاً بكف ويقول "ما معنى هذا، وما هذا الشر المستطير الذى يحيط بنا منذ فترة ليست بالبعيدة؟! أين ذهبت الأميرة؟!! أين ذهبت الأميرة؟!" ثم دفع الطنافس المبعثرة فى الغرفة بقدمه على حين تفرقت الجوارى بعيداً والرعب يملؤهن.

كاد عقل الملك يطير وهو يضرب أخماسا لأسداس مفكراً فيما يحدث حوله والذى ليس له ما يفسره على الإطلاق.

حاول الوزير والملك "سولان" تهدئة الملك "سنجال" والأمير "جعفر" وطلبا منهما أن يفكرا فى الأمر بروية وهدوء. مضت فترة غير قصيرة من الغضب العنيف واللاتصديق، ثم بدأ الغضب يخفت رويدا لتحل محله محاولة لامعان الفكر لفهم ما يجرى. وبعد زوال حدة الغضب أمر الملك بإرسال الجنود للبحث عن الأميرة فى كل شبر من الأرض وأمر باستدعاء كل الكهنة والسحرة والمنجمين وكل من له علم من علوم الكتب السابقة



استمر البحث أياماً طويلة وتوالى وصول السحرة والمنجمين والحكماء لكن لا أحد يدرى شيئاً عما حدث ولا تفسير له عندهم.

كان الأمير "جعفر" يحيا فى جحيم وقد كاد عقله يذهب بعد افتقاد الأميرة، أحس بأن الدنيا ضاقت عليه وبأنه يتنفس من سَمِّ الخياط وضاقت عليه الأرض بما رحبت، لم يدر ما عساه أن يفعل وأين يبحث عن مليكة فؤاده.

***

كان الملك "سنجال" والأمير "جعفر" يجلسان وقد علاهم همّ شديد فى مجلس ضمّ الكثير من رجال البلاط الملكى..

كانا منكّسى الرأس والجميع من رجال البلاط يجلسون صامتين وكأن على رؤسهم الطير يهابون الحديث إذ ليس هناك ما يمكن أن يُقال

فى تلك اللحظات فوجئ الجميع بصوت رخيم يقول "ما جدوى جلوسكم هكذا دون فائدة" فالتفتت الرؤس تجاه مصدر الصوت وإذا به شيخ كهل دبّ المشيب فى شعر رأسه الذى تدلى على ظهره وكتفيه وشعر لحيته التى تدلت إلى ما دون منتصف بطنه وفى كتفه قد علّق جراباً من الجلد الأسود وبيده اليمنى غصنٌ من أغصان الشجر.



نظر إليه الجميع فى ذهول ودهشة عقدت السنتهم عن الكلام فاستطرد هو: "إن الجلوس فى حزن والبكاء والعويل لن يجديا شيئاً فى عودة الغائب"

كان الملك "سنجال" قد بدأ يفيق من دهشته فسأل الرجل بحدة

- من أنت وكيف دخلت إلى هنا؟

- هذا لا يهمك فى شئ أيها الملك، فلا داعى لأن تشغل نفسك ومن معك بما لا يهمك متناسياً هَمَّك ..

صاح الأمير: ماذا تريد أيها الشيخ فلا صبر لدينا..

نظر إليه الرجل بهدوء وثقة وقال "جئت كى أخبرك عن مكان محبوبتك أيها الأمير.

هب الأمير من مكانه صائحاً" وهل تعرف أين هى. تكلم بسرعة انطق".

قال الشيخ: نعم أعرف"

قال الأمير" إذن فلتخبرنا فى الحال، ماذا تنتظر؟!"



قال الشيخ "مهلاً أيها الأمير فما جئت إلا لذلك ولكن ماذا عساكم فاعلين بعد أن أقول لكم؟!" فاستنكر الجميع جوابه وقال الأمير في غضب وحدة" بالطبع سنذهب لإعادتها..

ضحك الرجل ضحكة قوية استشاط لها الجميع غضباً واستل الأمير "جعفر" سيفه ليضرب عنقه لولا أن الملك "سنجال" امسك بذراعه وطلب منه أن يتروى حتى يستمعوا لما يقول العجوز الذى نظر إلى الأمير ساخراً وقال "على رسلك أيها الأمير، أما عنى فلن تستطيع إيذائى وَلْتدَّخِر قواك لما هو قادم من شدائد وصعاب"

قال الملك سنجال "أرجو إلا تطيل الكلام، أخبرنا فقط عن الأميرة "قمر" أين هى؟"

قال الرجل "أنها أسيرة الملك المغوار، أتدرون من هو الملك المغوار؟

قال الجميع" كلا، لا ندرى من هو"

فقال الرجل "إنه ملك النار أحد مردة الشياطين المنشقين على ملك ملوك الجن، استطاع بدهائه ومكره أن يحكم بلاد الجن!!"

كان الجميع يصغون إليه فى ذهول غير مصدقين لما يسمعون فاستطرد:

- هذا ملك لا يقهره حتى الشيطان ذاته. كما أن بينكم وبينه عقبات ومهالك لا ينجو منها سالك، وإن نجا منها أحد فلن ينجو من بطش الملك المغوار ومردته من الشياطين"

قال الملك "سنجال": "ولكن كيف اختطف ذلك الشيطان ابنتي وأي عداء بينه وبيني؟!"

قال الرجل "لا شك أنكم رأيتم العجوز التي أتت لتصنع للأميرة تمثالا من الحجر إنها "أم القدود" التي تسكن على عين الخلود في البحر المسدود وهي من أخلص أعوان الملك المغوار. وهي تعلم هوى ذلك الشيطان في اصطياد الفاتنات فتسعى في الأرض تنحت لهن التماثيل ثم تعرضها على ذلك الشيطان فيختار منهم ما يشاء وبسحرها الأسود تطلق البخور حول التمثال الحجري وتتمتم عليه بكلمات فإذا بالتمثال ينتفض وإذا بالأميرة تحل محله هناك في بلاد الجن"

هبّ الأمير "جعفر" وقال "سأذهب لانقاذها مهما كان الثمن ولو لقيت في ذلك حتفي"



فقال الشيخ: "إذنْ فلتسلك طريق الغابة القديمة حيث الطريق المهجورة طريق المهالك التى لا يسلكها سالك، أما عنى فلا استطيع مساعدتك سوى مرة واحدة!!"

والقى إليه بكُرة بللورية صغيرة وقال له "ألقها أرضاً حين تحتاج إليها وتذكر أنك لن تستخدمها سوى مرة واحدة والآن سأذهب أنا متمنياً لك التوفيق..

فصاح الملك .. كلا لا تذهب لابد أن تبقى معنا فقد نحتاج إليك"

فضحك الشيخ وقال" كلا لن أبقى معكم" فصاح الملك بالحرّاس وأمرهم بالقبض عليه، فازداد ضحك الشيخ وأولى ظهره للملك وسار خطوات ثم اختفى.

ومع اختفائه أصاب الذهول الملك وانعقد لسانه فلم يستطع الحديث، أما عن الأمير "جعفر" فقد قال "الآن سأذهب ولن أعود إلا ومعى الأميرة "قمر" فقال له الوزير "سآمر بإعداد جيش جرار يكون فى صحبتك يا مولاى" فقال الأمير "كلا سأذهب بمفردى" ألحّ عليه الوزير لكنه أصرّ على الذهاب بمفرده وأعدّ عدته وبدأ رحلته.

***



كانت الغرفة تموج برائحة عطرة، ومن وراء الأستار كانت الجوارى يضربن بالمعازف فيُصدرن ألحانا شجية تطرب لها الآذان والأفئدة على حين كان الخوان المنتصب إلى جوار السرير الفسيح يحوى شتى أصناف الفاكهة والمشروبات اللذيذة، وفى الركن كانت شهرزاد تقف فى ثيابها الحريرية البديعة تضئ شمعات ليضفين على الغرفة ضوءاً هادئاً يتلائم مع حديثها الجذاب، وذلك عندما سمعت صوت شهريار مقبلاً من الخارج فالتفتت فرأته يرفع الستائر الحريرية المسدلة على مدخل الغرفة وهو يقول فى ابتسام:

- تريدين أن تُثبتى لى بحكايتك أن الحب هو الذى جعل من الأمير جعفر ذلك الفتى المدلل ربيب مجالس اللهو والسمر بطلاً يضحى بحياته من اجل محبوبته وهو يعلم أن ما هو مقبل عليه أشبه بالمستحيل بل المستحيل به أشبه؟!

فقالت شهرزاد فى هدوء وهى تضئ ما بقى من شمعات في الشمعدان:

- انا لااريد ان اثبت شيئا فهكذا تمضي الأحداث دون رغبة منى!!

ثم التفتت نحوه قائلة:

- كما أن الحكاية لم تنته بعد! لنر ما إذا كان قد أصبح ذلك البطل الذى يضحى بحياته فداء لمن احب أم لا، فلندع الأحداث تخبرنا بذلك!

كان شهريار قد استلقى على إحدى الأرائك وأمسك بثمرة من ثمار التفاح وأخذ يداعبها بأصابعه وقال:

- هناك أمر آخر، ذلك الأبله الذى رفض نصيحة أبيه فى الزواج متعللاً بأنه سيتعذب إذا لم يتزوج بمن يحب وأن قلبه سيحاربه كما قال فما الذى جناه الآن، فمنذ رآها فى الشرفة وهو يتقلّى على الجمر وقد ذهبت به ظنونه كل مذهب حتى أضحت أيامه ولياليه جحيماً لا يطاق وعندما اكتشف الحقيقة وأحس بقرب الوصال، اختطفوا منه من أحب وها هو يلبس ثياب الفارس المغوار ويمضى فى طريق قد يدفع فيه حياته ثمناً لهواه وقد لا ينتهى به ذلك الطريق إلى شيء.

قالت شهرزادُ:

- إن الذى يسير نحو حبيبه فى طريق طويل ملئ بالأشواك، لا يضنيه طول الطريق ولا ألم الأشواك إنما يضنيه ما يكابده من أشواق، ثم إنى قد رجوتك يا مولاى ألا تستبق الأحداث ولنر ما سيحدث للأمير والأميرة!



فقال الملك وهو يقضم التفاحة:

- إذن فلتكملي الحكاية وسنرى

استوت شهرزاد جالسة بين يديه وتبسمت وقالت:

- بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن الأمير "جعفر" بدا رحلة الكفاح متجها صوب الغابة القديمة التى كان سكان المملكة يرددون عنها الأساطير ويتحاكون عن اللعنة التى تقطن بها لتصيب كل من تسول له نفسه أن يقترب منها فما دخلها احد وخرج منها وكان كل إنسان يحاول أن يتخيل ما يحدث فى داخل الغابة وينسج حوله الحكايات فتتعدد الأساطير ويتعاظم شانها، لكن الأمير "جعفر" كان قد أمضى أمره فانطلق يطوى الفيافى والقفار ويقطع السهول والوديان صوب الغابة القديمة فى نهاية مملكة الملك "سنجال" المترامية الأطراف

وبعد مسيرة ثلاث ليالى أضحت الغابة على مرمى البصر يكتنفها جو من الغموض والرهبة.

عندما لاحت الغابة للأمير كان يتقدم ببطء تتنازعه المخاوف وتتوارد على خاطره الحكايات والأساطير التى سمعها عنها ومع اقترابه منها اكثر وأكثر زادت ملامحها وضوحاً وزادت مخاوفه لما تلقيه ظلالها



القائمة فى نفسه من رهبة ويزداد توارد الأساطير بل ويتخيلها واقعاً ملموساً أمامه كان يخيل إليه أن تلك الأشجار ما هى إلا شياطين ترتدي أردية سوداء تقف متكاثفة حول وادي من وديان الجحيم لكنه طرد عن فكره ذلك الخاطر وقال ساخراً

- لماذا أخاف من تلك الأشجار التى تبدو لعينى كالشياطين؟ أو لا أدرى أنى ذاهب بالفعل لقتال الشياطين، يا لى من احمق!!

ومضى يُصبر نفسه بأن قدر الله غالب على كل شئ وتذكر الأميرة "قمر" واشتاقت عيناه لأن تكتحلا برؤية عيناها الصافيتين فانطلق بفرسه حتى وصل إلى الغابة فرأى أشجارها المهولة تضرب بجذورها فى الأرض وتنطلق سيقانها وفروعها شامخة فى السماء وقد تشابكت أغصانها وتضافرت لتضرب سياجاً من العُزلة بين ما فى داخل الغابة وما فى خارجها.

ظل الأمير يتقدم ودخل إلى الغابة بين جذعين هائلين واستمر فى تقدمه وهو ينظر فى حذر إلى الأشجار فى هيئتها الغريبة والأحجار الضخمة والصخور التى انتشرت فى جميع أنحاء الغابة لتشكل ركنا من



تلك الصورة المخيفة التى رسمتها يد القدر لترهب بها كل من تسول له نفسه أن يقترب من الغابة.

مضى الأمير سائراً تتنازعه مشاعر الرهبة والتحدي. فها هى صخرة عظيمة قد انتصبت على شكل وحش مريع وقد انطلق من قلبها خيط دقيق من الدم أو هكذا خُيل للأمير. فصرف وجهه عنها ليرى شجرة عظيمة مجوفة تجويفا كبيراً مظلماً يخرج منه بين الفينة والفينة لسان من اللهب أو هكذا خُيل للأمير. فصرف بصره واستعاذ بالله من شرها. ومن أركان الغابة كانت تنبعث أصوات غريبة مبهمة تلقى الرعب فى القلوب وخُيل إليه كذلك أنه يرى أشباحاً تجرى هنا وهناك فى أرجاء الغابة فإذا ما التفت وأمعن النظر لم ير شيئاً. وخُيل إليه أن شيئاً ما سيسقط عليه فنظر اعلاه فلم يجد شيئا ولكنه وجد غصناً ضخماً لإحدى الأشجار يهتز بقوة. فخُيل إليه إنه كاد يسقط على رأسه لولا أنه نظر تجاهه. وما كاد يفيق مما رأى أو ما يُخيل إليه أنه رأى حتى رأى كومة من العظام الآدمية فأحس بشئ ما يعتصر قلبه فاستحث فرسه فى السير حتى وصل إلى نهاية الطريق التى كان يسير فيها. فرأى بابين أحدهما ضيق مكون من التفاف مجموعة من الأغصان لا يسمح له

بالسور راكباً على حصانه والآخر باب حجرى ضخم يسمع بمروره راكباً فقرر أن يدخل من خلال الباب الحجرى وقبل أن يصل إليه توقف لوهله وفكر. فشكل الباب غريب. فجوانبه كانت تبدو كما لو كانت أسنانا ضخمة ثم تذكر شيئاً. لقد رأى وهو فى أول الطريق شيئاً ما يلوح عن بُعد كما لو كان رأس تنين عظيم له فكان هائلان قد انطبق كل منهما على الآخر. فارتاب الأمير ومالت نفسه إلى الخروج من الباب الضيق. فنزل من على فرسه ودخل إلى الباب ثم سحب فرسه خلفه وما كاد يدخل حتى سمع صوتاً عظيماً فنظر من خلال الضيق ليرى صدق ما حدثته به نفسه، فها هو الباب الحجرى قد انغلق ليتخذ شكل رأس التنين مرة أخرى وتتصاعد الأدخنة من منخريه.

حمد الأمير ربه وظل سائداً فى حذر وتيقظ وقد بدأ يدب فى نفسه إحساس بأنه قد دخل إلى مكان آمن ولم يعد يرى من المخاطر والأهوال ما كان يرى من قبل وظل سائراً حتى وصل إلى عين ماء بجوار مجموعة من الأشجار فربط زمام فرسه فى إحدى الأشجار، وكان الجوع ينهش فى أحشائه، فنظر حوله ليرى أن الثمار تملأ الأغصان حوله فمد يده واقتطف بعضاً منها وقربها إلى فمه ولكن شيئاً ما خطر بباله، لقد خُيّل إليه أن

الأغصان بما تحمله من ثمار كانت على ارتفاع لا يبلغه وهو راكب على فرسه فكيف تدلت الآن فصارت فى متناول يده وهو يقف على الأرض فألقى بالثمرة على الأرض بسرعة. وهنا اشتعلت الأرض حوله جحيماً فإذا بالأرض تتزلزل بقوة تحت أقدام الأمير وإذا بعين الماء قد تحول ماؤها إلى اللون الأحمر القانى وأصبح يغلى كالمرجل وقد علت سطحه الفقاقيع وإذا بالأشجار تهتز بعنف يُمنة ويسرة فتتهاوى ثمارها على الأرض لتنتصب كل ثمرة فى صورة هيكل عظمى وقد تحولت كل ثمرة إلى وجه قبيح ذى عين واحدة وأنياب بارزة وشعر قد انتصب كالإبر وقد اتجهت جميعاً صوب الأمير، الذى فقد صوابه بعد أن قطع فرسه زمامه وولى هارباً.

نظر الأمير حوله زائغ البصر ليرى تلك الوحوش تعدو نحوه فى وسط الضباب الكثيف الذى بدأ يملأ الجو حوله وفى تلك اللحظة أحس بما يشبه حبلين غليظين تكسوهما الأشواك قد برزا من عين الماء- الذى غدا دماً- والتفا حول قدميه فضربهما الأمير بسيفه بقوة فقطعهما وسقطت الأجزاء التى التفت حول ساقيه ولكن الذراعين عاودتا الإلتفاف حول ساقى الأمير وجذبه بعنف نحو عين الدم فكرر الأمير ما فعل سابقاً بعد أن

كاد يتردى فى عين اليم وحين كان يجاهد الأحبال الشائكة كانت الوحوش قد قذفت بكرات شائكة صوبه على حين سقطت منه الكرة البللورية وإذا بها تتحطم.

فى اللحظة التى كانت الكرات الشائكة قاب قوسين أو أدنى من الأمير، كان هناك طائرٌ عظيم أبيض اللون قد خرج من الكرة البللورية الصغيرة ورفع الأمير بقوة وبسرعة إلى أعلى ليسمع ارتطام الكرات الشائكة ويرى النار وقد توهجت فى الفضاء وكان هذا آخر ما رآه الأمير إذ أغشى عليه بعد ذلك فلم يعد يشعر بما حوله.

أفاق الأمير بعد فترة من الزمن لا يدرى هل هى طويلة أو قصيرة أفاق ليحس شئ ما يجذب ثيابه، ففتح عينيه ليرى فرسه إلى جواره يحاول إيقاظه من نومه ونظر حوله ليرى صحراء مترامية الأطراف.

اعتدل الأمير محاولا أن يتذكر ما حدث ويتخيله فأذهله ذلك فقد كان ما حدث مريعاً إلى حد لايمكن وصفه، وتذكر الطائر الضخم الذى خرج من الكرة البللورية وحمد الله على رحمته التى تداركته فى ساعة الهلاك.



قام الأمير وامتطى صهوة جواده ونظر حوله فى الصحراء المترامية الأطراف المقفرة الجدباء فلم يدر إلى أين يذهب فكل الإتجاهات متشابهة وهو يخشى العودة إلى الغابة مرة أخرى. فكر الأمير ملياً ثم قرر أن يترك لفرسه العنان فهو قد عاين معه ما حدث فى الغابة ثم ولى هارباً من طريق ما ولعله يعلم أين تكون هذه الطريق وعلم ما وراءها من خطر ولن يسير فيها مرة أخرى.

ترك الأمير لفرسه حرية التوجه ثم استحثه فانطلق يطوى الصحراء ملياً وبعد فترة من الزمن ليست بقصيرة لاحت على البعد أشجار خضراء فانطلق الأمير بفرسه ينهب الأرض نهباً حتى دنا من الأشجار التى قامت على جانب أحد الأنهار فالتقط الأمير أنفاسه ثم قفز من على فرسه نحو الماء وظل يعب منه عباً حتى أرتوى وذهب ما به من عطش ثم التقط بعض الثمار وظل يأكل فى نهم حتى أحس بالشبع ثم استلقى تحت إحدى الأشجار وغط فى نوم عميق.

عندما استيقظ الأمير جعفر نظر حوله ليرى أن الليل فرش رداءه على الصحراء وقد علا البدر فى السماء فقام الأمير ليستأنف رحلته وقد عزم على ان يسير محاذياً لشاطئ النهر فاخذ يجمع بعض الثمار التى

تعينه على جوع السفر. في ذلك الوقت كان الليل يلملم أذياله قُبيل بزوغ خيوط النور.

بينما كان الأمير يجمع الثمار. إذا بظل يحجب عنه ضوء القمر فنظر الأمير إلى أعلى ليجد طائراً ضخماً غريب الشكل لم ير مثله من قبل له جناحان عظيمان ومخالب هائلة يهبط صوبه فانطلق الأمير مبتعداً عن موضعه. فتعقبه الطائر. وهنا أيقن الأمير أن الطائر يبغيه فانتزع سيفه واستعد للمواجهة.

هاجم الطائر الغريب الأمير وضربه بمخالبه وجناحيه والأمير يقاوم ويضرب بسيفه بقوة ودام القتال فترة حتى تمكن الأمير من تسديد سيفه إلى صدر ذلك الطائر المهول فتهاوى الطائر وسقط قتيلاً في الصحراء.

التقط الأمير أنفاسه ولكنه لم يتمكن من التمتع بلذة النصر. ففي اللحظة التالية لسقوط الطائر رأى طائرين من نفس فصيلة الطائر الذي قتله. كانا يخترقان الجو متجهين صوبه. فانتزع الأمير سيفه من صدر ذلك الطائر بسرعة ثم سارع بإحضار رمحه واستعد للمواجهة.

كانت المعركة فى هذه المرة حامية الوطيس بين الأمير "جعفر" والطائرين أنتهت بجرح الأمير "جعفر" جرحاً بالغاً فى كتفه بعد أن تمكن من قتل أحد الطائرين وقطع رجل الطائر الأخر الذى ولى هارباً.

أسرع الأمير بجمع الثمار وإعداد عدته ثم امتطى جواده وانطلق محاذياً لشاطئ النهر، وبعد مسيرة قصيرة أظلمت السماء بظل عظيم فنظر الأمير في الأفق فرأى سرباً عظيماً من تلك الطيور الغريبة يقودها ذلك الطائر الجريح الذي تمكن الأمير من قطع رجله.

أيقن الأمير بالهلاك المحقق فاستحث جواده الذى أنطلق ينهب الأرض نهباً فى سباق محموم مع الموت. ولكن السرب أخذ يقترب بسرعة كبيرة حتى دنا من الأمير وكاد يلتقط رأسه وفقد الأمير الأمل فى النجاه واستسلم للقضاء وإذا به يسمع أصوات عالية كما لو كانت صراخا فنظر إلى سرب الطيور ليرى بعضها يشير إلى ناحيةٍ ما، ثم ينطلق السرب كله عائداً من أدراجه بسرعة خيالية.

نظر الأمير إلى حيث كانت تنظر الطيور فرأى الشمس قد بدأت تشرق، فأدرك على الفور أن هذه الطيور مع قوتها وسطوتها لا تقوى على احتمال ضوء الشمس.



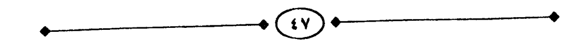
مع أختفاء الطيور أدرك الأمير أن عليه أن يبتعد عن هذا المكان بسرعة وأن يقطع هذه الصحراء قبل ان يحل عليه الظلام مرة أخرى. لكن الجرح الغائر في كتفه استمر يُدمي بشدة وبدأ الألم يتضاعف بشدة وأحس به الأمير بعد زوال الخطر.

حاول الأمير أن يقاوم الألم والنزيف ولكن دون جدوى. فبدأ يحس بأن الأرض تدور من حوله وهو ينطلق بفرسه في الصحراء حتى فقد وعيه وما عاد يشعر بشئ مما يجرى حوله.

مضت فترة من الوقت ثم أفاق الأمير وفتح عينيه ليرى أول ما يرى عينين تنظران إليه. أمعن الأمير النظر فرأى فتاة حسناء تنظر إليه بعينين ساحرتين وقد أنسدل شعرها على كتفيها كأمواج الليل. لما أحسَّت بأنه أفاق من غشيته قالت له بصوت عذب "حمداً لله على سلامتك".

دار الأمير ببصره فيما حوله وهو يقول "أين أنا" فرأى رجلاً أشيب الشعر تعلوه الهيبة يجلس بالقرب منه على فراء من الصوف. ما كاد يسمع صوت الأمير حتى قال له "لا بأس عليك يا بنى فأطمئن".

كان الأمير مع الرجل والفتاة فى كوخ بسيط نظيف قليل المتاع.



حاول الأمير أن يعتدل فأحس بألم شديد فى كتفه، فأمسكت الفتاة كتفه بإحدى يديها ووضعت الأخرى خلف ظهره وأعانته على الجلوس وهى تقول له:

- رفقاً بنفسك أيها الفارس، عليك بالراحة حتى يندمل جرحك.

وساعدته حتى استند إلى جدار الكوخ ثم قامت وأحضرت له شراباً دافئاً سقته إياه ثم نظفت له جرحه وربطته جيداً.

طلب الرجل من ابنته شراباً منادياً أياها بقوله "يا سحاب" فعرف الأمير أن اسم الفتاة "سحاب"، فأحضرت الفتاة الشراب وناولته للرجل وهى تقول "تفضل يا أبت"، وقد لاحظ الأمير أن يد الرجل أخطأت طريقها إلى الكوب لولا أن الفتاة أمسكت بها ووضعت فيها الشراب فأدرك الأمير أن الرجل ضرير.

ظل الأمير فى الكوخ يتلقى الرعاية من "سحاب" وأبيها دون أن يتبادلوا أحاديث سوى سؤالهم له عن صحته وأخبار جرحه إلا أن الأمير أحس بالحنان والعطف فى وجوههم البريئة المشرقة فأحبهم، وبعد أن اندمل جرحه واسترد قواه أقبل عليه الرجل الضرير تقوده ابنته حتى جلس إلى جواره وقال له "كيف حالك اليوم يا بنى"



- حمداً لله يا عماه.

- أخبرتنى سحاب أن جرحك قد اندمل وأنك بدأت تسترد العافية

- أنا مدين لكم بحياتي يا عماه.

- لا تقل ذلك يا بنى فنحن لم نفعل إلا ما يجب علينا فعله.

ثم سادت فترة قصيرة من الصمت قطعها الرجل بقوله:

- لا أود أن أثقل عليك يا بنى بسؤالك عن وجهتك ولكنى أسأل هل استطيع أن اساعدك بشئ؟

تفرّس الأمير وجوههم السمحة ثم ابتسم وقال:

- ساحكى لكما حكايتى!!

ثم بدأ الأمير يحكى لهما حكايته من بدايتها حتى لحظة وصوله إليهما ولاحظ فى أثنائها الدموع التى ملأت محجرى "سحاب" وسالت على خديها عندما ذكر لهم فراق الأميرة والمعاناة التى عاشها بعد ذلك

وبعد أن أنتهى الأمير من سرد حكايته قال له الرجل الضرير فى حنان:



- حمداً لله على سلامتك يا بنى. ولـه الشكر على أنـه أنجـاك من المهالك التى مرّت بك، ولكنك لم تنته بعد من الصعاب وأصعب الصعاب بعد أن تصل إلى بلاد الملك المغوار!

قال الأمير: "مهما كانت الصعاب يا عماه، فقد عزمت وسأمضي لتنفيذ ما عزمت عليه"

عندها قال الرجل الضرير: "ما دمت قد قررّت ذلك فسأبذل جهدى كى أساعدك على أن تصل"

نظر إليه الأمير مصغيا لما وراء هذه الكلمات فاستطرد الرجل بعد صمت قصير:

- حتى يمكنك الوصول إلى بلاد النار لا بد لك من الحصول على عين التنين الأسود!!

قالها وصمت على حين نظر إليه الأمير وقال مستفهماً:

- عين التنين الأسود؟!

فاكمل الرجل: "عين التنين الأسود هى جوهرة عظيمة يُقال أنها كانت عيناً لتمثال عظيم لتنين أسود على شاطئ البحر كان الناس



يعبدونه من الآف السنين ويظنون أنه إله الشر ولكننا نعلم أن إله الشر وإله الخير هو إله النبى سليمان!!

أوما الأمير برأسه موافقاً ثم تساءل:

- وأين تكون هذه الجوهرة العظيمة؟!

قال الرجل "بعد أن تحطم التمثال بمرور الزمن اختفت الجوهرة وهى من ثلاثة فصوص تلتحم معاً وتكوّن الجوهرة وقد أودع فيها السحرة الذين كانوا كهاناً للتنين الأسود قوة عظيمة من سحرهم وقد علمنا بعد ذلك أن فصوص الجوهرة الثلاث قد انفصلت وأن كلا منها فى مكان. أما أولها فقد استأثرت به حية من الحيات العظام ضَعف بصرها تخرج ليلاً للبحث عن طعامها وتستخدم الفص ليضئ لها حتى تستطيع الرؤية ثم تبتلعه مرة أخرى وهى حية متوحشة وهذا الفص هو سر قوتها ولابد من الاستيلاء عليه بعد أن تلفظه إذ أنها بمجرد ابتلاعه يذوب فى دمها فلا يمكن الحصول عليه أبداً.

أما الفص الثانى فقد ابتلعته إحدى الأسماك وهذه السمكة وقعت فى شباك أحد الصيادين فعاد بها إلى بيته ولما شق بطنها واكتشف الفص فرح به فرحاً شديداً وقرر أن يبيعه ويجنى من ورائه مالاً كثيراً



فاشارت عليه زوجته - وكانت ذات رأى - أن يهديه لأمير البلاد فهو فص نادر الجمال وأخبرته بأن الأمير سيكافئه على ذلك مكافأة جزيلة فمضى به الرجل وأهداه الأمير فكافأه الأمير على ذلك بالمال الكثير حتى أرضاه ثم وضع فص الجوهرة فى تاجه. فهو فى تاجه إلى الآن.

وأما الفص الثالث فقد وصل - ولا أدرى كيف - إلى جماعة من الناس يسكنون فى كهوف ينحتونها فى الجبال ويعبدون شجرة كبيرة وفى هذه الشجرة تجويف وضعوا فيه طبقاً من الذهب وفى ذلك الطبق وضعوا ذلك الفص، ويُقال أن الشيطان تمثل لهم فى صورة حكيم عجوز عليه مدرعة من الصوف وأخبرهم بأن هذا الفص هو عين التنين الأسود إله الشر وأن قوة التنين الأسود قد انتقلت إلى تلك الشجرة التى يعبدونها وأن عليهم أن يحافظوا على ذلك الفص، فزاد تقديس هؤلاء الناس للشجرة وتعظيمهم لها وجعلوا عليها حرساً شديداً يحرسها ليلاً ونهاراً!!

صمت الرجل برهة قال بعدها الأمير:

- ليس هناك مستحيل، سأجمع الفصُوص الثلاثة بعون الله.

قال له العجوز: إذن فلتبدأ بالأيسر.. عليك بالحية!



ثم وصف له الغابة التى تحيا فيها الحية ثم دعا له فشكره الأمير وانطلق ليحضر الفص الأول ثم يعود إلى الرجل وأبنته.

وصل الأمير إلى الغابة بعد حلول الظلام فاقام فى موضع يُطل على جُحر الحية كما وصفه له الرجل الضرير وظل مرابطاً فى ذلك الموضع والظلام الدامس قد عمّ الغابة، كان الأمير متيقظاً منتبهاً عندما سمع حفيفاً خافتاً يترامى إلى أذنيه فازداد انتباهه وما هى إلا بُرهة قصيرة حتى كان الضوء قد انبعث فى الغابة فنظر الأمير إلى ذلك الضوء فرأى فص الجوهرة التى يبغيها ورأى الحية تمضى مبتعدة عن الفص بحثاً عن طعامها.

ما كادت الحية تبتعد عن الفص مسافة مناسبة حتى رأت فاراً ضخمة فانقضت عليه وأطبقت عليه فمها فاستغل الأمير تلك الفرصة وانطلق بأقصى سرعة صوب الجوهرة وفى اللحظة التى أحست به الحية انطلقت بدورها زاحفة بسرعة نحو الجوهرة.

كان الأمير قد دنا من الجوهرة فالقى بنفسه من على فرسه فى الوقت الذى كانت الحيه فيه على وشك الوصول إليه، فالتقط الأمير الفص بإحدى يديه وبالأخرى قبض بسرعة قبضة من التراب وألقاها على



عيني الحية فأخذت تتخبط، وبسرعة امتطى الأميرة صهوة جواده وانطلق يذهب الأرض نهباً حتى خرج من الغابة وواصل سيرة حتى وصل إلى كوخ الرجل الضرير، فاستقبله هو وابنته فى سرور وهنأه على سلامته وعلى حصوله على الفص الأول ودعا له الرجل بالتوفيق فيما بقى قائلاً:

لكن يا بنى هذا الفص هو الأيسر لأن الحية مهما كانت قوية فليس لها عقل مدبر كالبشر!

قال الأمير: أسال الله التوفيق يا عم، والآن علىَّ أن أفكر فى حيلة للحصول على الجوهرتين الأخريين.

قالت سحاب مخاطبة الأمير: استرح الآن يا أمير وتناول طعامك وغداً فكّر فيما تريد"

قام الأمير ليتناول الطعام مع الرجل الضرير، وعلى الطعام سأل الأمير الرجل عن الأمير الذى يملك الفص الثانى فقال الرجل:

- أسمه الأمير قيدار وهو أمير قليل العقل قليل العمل، يهوى التفاخر والطنطنة، ينسب لنفسه ما لا يعمل..



وظل الرجل يخبر الأمير بكل ما يعرف عن الأمير "قيدار" حتى فرغا من الطعام، فقام الأمير واضطجع خارج الكوخ وهو يفكر في ذلك الأمير وما الحيلة ليصل إليه حتى غلبه النوم.

وفى الصباح توجه الأمير إلى الرجل والضرير وسأله:

هل يهوى الأمير قيدار الصيد؟

قال الرجل: نعم، وقد اعتاد الخروج إلى البرارى والقفار فى تعقب الصيد حتى اشتهر بذلك.

قال الأمير: "حسناً" ثم قام وأعد سلاحه وفرسه على حين سأله الرجل "فيم تفكر؟"

قال الأمير: "لقد خطرت لى فكرة وأتمنى أن تنجح. أدعو إلى بالتوفيق." ثم ركب حصانه وانطلق.

هذا ما كان من أمر الأمير "جعفر" أما عن الأمير "قيدار" فقد خرج فى رجاله قاصداً الصيد والقنص وظل يسير بهم حتى اشتد عليهم الحر دون أن يستطيع صيد شئ وكان رجاله فى غاية الضيق والملل، فهكذا هو دوماً يخرج بهم إلى الصحراء ويظل يطارد الحيوانات دون أن يفلح فى اصطياد شئ.



كان الأمير "قيدار" ينظر خلفه كل حين ليجد رجاله بعيداً عنه وقد أصابهم الإعياء والكلل فيصيح بهم فيسرعوا نحوه، وما هى إلا فترة قصيرة حتى يدب التراخي فيهم مرة أخرى فيتأخروا عنه.

لاح للأمير "قيدار" على البعد غزال فى الصحراء فانطلق يعدو خلفه ويتعقبه بسهامه دون أن يصيبه حتى اختفى الظبى خلف أحد الجبال فانطلق الأمير وراءه فرءاه منطلقاً فصوّب إليه سهماً فأخطأه السهم وفى نفس اللحظة سقط الظبى قتيلاً ولكن بسهم أخر وفوجئ الأمير "قيدار" بمن يخرج له من جانب الجبل ليقول:

- رمية موفقة يا مولاى الأمير!!

ولم يكن هذا الآخر سوى الأمير "جعفر" وكان سهمه هو الذى أصاب الظبى فأسقطه.

نظر الأمير "قيدار" نحو الأمير "جعفر" فى دهشة، فهو واثق من أن هذه الرمية ليست رميته، ومن يكون هذا الرجل الذى يراه لأول وهلة، فى هذه اللحظة كان رجال الأمير "قيدار" قد وصلوا إليه، فلما رآهم الأمير "جعفر" أقبل على الأمير "قيدار" قائلاً:

- سلمت يمينك يا مولاى، لم أرَ فى حياتى راميا بهذه البراعة!!



ثم أكمل موجهاً حديثه لرجال الملك: أرأيتهم ذلك الظبي الذى أسقطه الأمير بسهم استقر فى نحره رغم أن الظبى كان يجرى بسرعة الريح.

نظر رجال الأمير "قيدار" إلى بعضهم البعض فى دهشة وعيونهم كلها تساؤل "من هذا الرجل؟ وما تلك القوة والبراعة التى حلّت بأميرهم فجأة؟" على حين استطرد الأمير "جعفر": "ليس ذلك فحسب، ألا ترون ذلك الفرخ من النعام الذى سقط على مقربة من الظبى بسهم آخر من سهام الأمير؟؟"

كان الأمير "قيدار" أشدهم ذهولاً لكنه قال على الفور: لقد كان أمر هيناً. هيا يا رجال أحملوا الظبى وفرخ النعام حتى نعود بسرعة فقد اشتد الحرّ.

ثم توجه بالحديث إلى الأمير "جعفر" مستائلاً: من أنت أيها الفارس؟

فأجاب الأمير "جعفر" على الفور: خادمكم المطيع "كهرمان" يا مولاى.

فقال الأمير "قيدار": هل تقبل أن تكون ضيفي على الطعام اليوم يا كهرمان؟

فأجاب الأمير "جعفر" وهو يرنو نحو الأرض: حباً وكرامة يا مولاى

وانطلق الركب عائداً إلى قصر الأمير قيدار حيث نزل الجميع والأمير "جعفر" كهرمان فى صحبة الأمير "قيدار" الذى أمر بإعداد وليمة عظيمة ثم دخل إلى الحمام وكذلك فعل الأمير "جعفر" وبعد الخروج من الحمام خلع الأمير "قيدار" على كهرمان "خِلعة سنية ثم جلسا إلى الطعام وطلب الأمير "قيدار" من الأمير "جعفر" أن يحدثه عن نفسه فبدأ الأمير "جعفر" الحديث وقال:

- اسمى يا مولاى كما أخبرتكم "كهرمان" وقد كنت قائداً لحرس الملك "شوبان" ملك جزر "السنديان" وكنت من أقرب المقربين إليه حتى دبّر له أخوه مع وزيره مكيدة ثم قتله واستولى على العرش، فهربت أنا مع الرجال المخلصين للملك المقتول فطاردنا الملك الجديد وظل يقتل كل من طالته يده، فتخفيت وهربت من المملكة وما زلت أتقلب فى البلاد بحثاً عن الرزق وطلباً للأمان والحماية.



هزّ الأمير قيدار رأسه أسفاً وقال: هكذا الأيام لا تدوم على حزن ولا سرور.. ولكن هل تقبل العمل لدى قائداً لحرسي ولك ما تريد؟

قال الأمير "جعفر": وأين أنا من هذا الشرف العظيم يا مولاى، بل أكون خادماً لك وحسبى ذلك.

قال الأمير "قيدار": بل أنت من اللحظة قائدٌ لحرسي..

وهنا قام الأمير "جعفر" وانكب على يد الأمير "قيدار" يقبلها فسحبها الأمير قيدار بسرعة، ذلك على حين كان بعض من أعوان الأمير "قيدار" يتبادلون النظرات خِلسة وهم فى دهشة من اندفاع أميرهم فى كل شئ وسرعته فى اتخاذ القرارات، فما من أحد منهم سمع من قبل عن جزر السنديان أو ملكها الملك "شوبان" وكان فى طليعة هؤلاء الوزير "الجارود" وابن عمه قائد الحرس الذى تم عزله بمجرد تولية "كهرمان" وكانت نار الحقد والغيرة قد دبّت فى قلبى هذين الرجلين تجاه ذلك الزائر الغريب الذى كان ظهوره مفاجئاً وفى ساعة من الزمان تبوأ أعلى المناصب.

انتحى "الجارود" بالأمير "قيدار" جانباً وقال له: أن مولاى يعلم أننا جميعاً عبيده وخَدمه وأننا نثق فى فطنة أميرنا ورأيه السديد، وما ألهمه



له إلهنا القمر من حكمة وبصيرة، ولكنى أرجو من مولاى أن يغفر لى جراءتى فإنى أقسم بالقمر أنه ما حملنى على ما أقول إلا حُبى لمولاى وخوفى عليه وعلى عرشه وبلاده.

نظر إليه الأمير مندهشاً وسأله: وممَ تخاف علىّ وعلى عرشى؟!

قال الوزير: هذا الغريب يا مولاى.

- تقصد كهرمان؟

أومأ الوزير برأسه إيجاباً، فقال الملك: ماذا عنه؟!

- ماذا نعلم عنه يا مولاى؟ وما أدرانا أهو صادق أم كاذب فيما يدّعى؟ ولعله جاسوس أو خائن مدسوس، يرمى إلى إيذاء مولاى.

- لقد كنت أمامه وحيداً فى الصحراء ولو كان يبغى قتلى لفعل.

وصمتَ الأمير برهة ثم أردف:

- ولكن يبدو أنك ناقم عليه لأنه حلّ محل ابن عمك فى قيادة الحرس!

- ولكن يا مولاى..

- حسبُك، وأمسك لسانك عنه حتى يأتينا منه ما نكره.

- سكت الوزير على مضض ثم استأذن الأمير وانصرف وتبعه ابن عمه قائد الحرس السابق.

أحس الأمير "جعفر" بما يضمره له الوزير وابن عمه، وأحس بأن خطواته ينبغي أن تكون محسوبة، وشعر بالضيق لأن هذه المتابعة المستمرة ستجعل مغامرته صعبة. لكنه قرر أن يمضي في طريقة بصورة طبيعية.

بدأ كهرمان "جعفر" يقترب أكثر وأكثر من قلب الأمير "قيدار" بما يحكي له من حكايات عن جولاته ورحلاته وحروبه مع الملك "شوبان" وجزر السنديان وكلها حكايات من وحي خياله وكان الأمير "قيدار" يأنس إلى أحاديثه ويستلذ بها.

كان "جعفر" يخرج مع الأمير "قيدار" في رحلات الصيد ليعود الأمير "قيدار" بالصيد الثمين في كل مرة. ومع هذه المكانة والحظوة التي نالها "جعفر" سريعاً كانت نار الحقد تزداد يوماً بعد يوم في قلب الوزير وابن عمه وتزداد كذلك مراقبتهم لـ "كهرمان" أكثر وأكثر وكهرمان "جعفر" لا يخفى عليه من ذلك شئ.



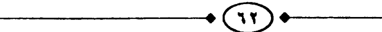
أحس الأمير "جعفر" بالقلق لمرور الوقت دون نجاح فى المغامرة التى جاء من أجلها، فبدأ يراقب غرفة الأمير "قيدار" عن كثب من غرفته القريبة منها فى القصر متحاشياً أن يشعر بذلك أحد.

وفى أحدى الليالى خرج الأمير "جعفر" من غرفته متسللاً حتى دخل غرفة الأمير "قيدار" والتى تقع قريباً من غرفته، دون أن يراه الحرس واقترب من سرير الأمير، وإذا بصوت خطوات تقترب بسرعة من الباب وفى اللحظة التى كان "جعفر" يمسك فيها بسيفه ويرفعه عالياً فى الهواء انفتح الباب ودخل الوزير ومعه بعض الجنود وصاح: قف مكانك إيها الخائن، لقد انكشفت حيلتك!!

لكن ذلك لم يمنع الأمير "جعفر" من أن يتم عمله ويهوى بسيفه لأسفل، وهنا هبَّ الأمير "قيدار" من نومه فَزِعاً وتسائل فى دهشة ممزوجة بالغضب: ماذا يحدث فى مخدعى؟ وكيف دخلتم إلى هنا؟

ونظر إلى جوار سريره فرأى ثعبان عظيم وقد انفصل رأسه عن جسده.

قال الأمير "جعفر" كل ما هنالك يا مولاى أنى كما وعدتكم كنت ساهراً على راحتكم وإذا بي أرى هذه الحية العظيمة تدخل إلى غرفتكم



من الحديقة، فجئت مسرعاً وتمكنت من قتلها وإذا بي أرى الوزير يتعقبني ويدخل برجاله قائلاً: أرفع يدك أيها الخائن ولا أدري أي خيانة فيما فعلت؟!

قالها ونظر إلى الوزير نظرة ضيق وغضب ثم استطرد: ويبدو يا مولاي أن عين وزيركم لا تغفل عني لحظة واحدة ولا أدري لماذا. وإني لأتساءل ما دام الوزير يقظاً منتبهاً هكذا ألم يكن من الأحرى أن يهتم بما يواجه حياة مولاي من خطر بدلاً من اهتمامه بقائد الحرس ومراقبته؟!

وصمت لحظة ثم قال: وإنى استأذن مولاى فى الرحيل حتى يتفرغ الوزير لحماية مولاى بعد أن يُزاح همي عن كاهله.

كان الأمير "جعفر" يتحدث والدموع تترقرق فى عينيه. فنظر الأمير "قيدار" والشرر يتطاير من عينيه - إلى وزيره - والذى أخرسته المفاجأة وقال له:

- ماذا تقول فيما سمعت يا وزير؟

قال الوزير متلعثماً: إنى يا مولاى.. إنى .. إنى..

صاح الأمير مغضباً: إنك ماذا. لقد بلغ بك حقدك الأعمى أن تتهم أقرب الأقرباء إلي وتناصبه العداء بدلاً من أن تعاونه على حمايتي وحماية البلاد!

قال الوزير: مولاي ولكن..

قاطعة الملك صائحاً: كفى. لقد مللت اعذارك. والآن أذهب إلى بيتك ولا توافني في مجلسي حتى أنظر في أمرك!!

قال الوزير في ذلة: أمر مولاي.

ثم خرج وهو يتحرّق من شدة الغيظ فها هو يفقد ثقة الأمير وقد يفقد الوزارة وربما يفقد رأسه أيضاً بعد أن تخيل أنه كاد يُسقط خصمه اللدود والذي انفرد الأن بالتأثير على الملك.

بعد أن خرج الوزير، أقبل الأمير "جعفر" نحو الأمير "قيدار" وهو في أوج غضبه وقال: أرجو أن تغفر لي يا مولاي ما حدث

أجابه الأمير: لاذنب لك يا كهرمان، بل لك الفضل عليّ وارجو منك ألا تغضب لما حدث!!

قال الأمير جعفر وهو ينظر إلى الأرض: ما أنا إلا خادم من خدمكم يا مولاي.



ثم استأذن في الانصراف فأذن له الأمير.

مرت الأيام والوزير قلق ينتظر ما سيُفعل به ، بينما ازداد الأمير "جعفر" قرباً من الأمير "قيدار" وأصبح لا يفارقه ليلاً ولا نهار، كما انتهى ما كان يعانيه الأمير "جعفر" من حصار.

طالت الأيام والليالي للأمير "جعفر" حتى كانت إحدى الليالي حيث اثقل الأمير "قيدار" في شرب الخمر حتى غاب عن وعيه ثم حُمل إلى مخدعه وأشار الأمير "جعفر" إلى جنوده بالانصراف فانصرفوا حتى إذا ما تيقن الأمير "جعفر" من انصرافهم توجه نحو التاج ونزع منه الفص وخبأه في ثيابه ثم خرج خلف الجنود وقال لهم: قفوا على باب الأمير حتى الصباح يقظين ولا تدعوا أحداً يدخل عليه أياً كان ربما كان يكون الوزير وابن عمه قد دبّرا أمراً، فهما أهل حيل ومكائد ولو جاءا إلى هنا فاقبضوا عليهما.

قام الأمير بعد ذلك بإعداد عدته وسلاحه ثم ركب فرسه وخرج متخفياً، ولكن ما كاد يخرج من أسوار القصر حتى رآه قائد الحرس الأسبق فانطلق إلى دار ابن عمه الوزير ليخبره بانه رأى "كهرمان" يخرج من القصر بزاده وعدته متخفياً تحت جُنح الظلام. فقام معه الوزير



وانطلقا إلى القصر ولما وصلا حاولا مقابلة الأمير "قيدار" ولكن الجند منعوهما واغلظوا لهما القول، فصاح بهم الوزير: كيف تجرءون على ذلك؟

قال كبيرهم: ولو أكثرت الكلام ولم تنصرف الآن فسوف ألقيك فى السجن!!

قال الوزير مبهوتاً: ماذا؟!!.

قال الحارس: ما سمعت!!

قال الوزير وهو يبتلع غيظه: ولكن الأمر هام جدا، لقد هرب قائد الحرس!!

تبادل الجنود نظرات السخرية ثم قال كبيرهم للوزير متهكماً: وماذا تريد الآن، أن نتعقبه ونقبض عليه؟!

قال الوزير فى حزم: نعم!

قال الرجل ساخراً: أمر مولاى الوزير!!

ثم أشار إلى بعض رجاله وقال: ألقوهم فى السجن حتى الصباح ليرى فيهم الأمير رأيه.



وفى الصباح استيقظ الأمير قيدار فسأل عن كهرمان فقيل له "لم يستيقظ بعد يا مولاى" فطلب منهم أن يوقظوه فذهب أحد الحرس إلى غرفته ثم عاد إلى الأمير وقال:

- لم أجده فى غرفته يا مولاى

صاح الأمير: ابحثوا عنه فى أى مكان بالقصر وأحضروه لى فى الحال!

ذهب الحرس وبحثوا فى كل مكان ثم عادوا للأمير قائلين: لا أثر له يا مولاى ولم يره أحد من أهل القصر هذا الصباح!

قال الملك فى غضب: وماذا يعنى هذا؟!

وهنا تذكر أحدهم أمر الوزير فقال: ولكن يا مولاى..

صاح به الملك: ولكن ماذا؟ تكلم أيها اللعين!

حكى له الحارس ما كان من أمر الأمير "جعفر" بالأمس وكذلك ما كان من أمر الوزير وابن عمه، فصاح الأمير فى ذهول: ماذا؟!! هرب!! لماذا وكيف؟!

ثم طلب منهم أن يحضروا له سجينى الليلة الماضية، فذهب أحد الحرس ليحضرهما.

كان الأمير يحترق غيظاً عندما حانت منه التفاته إلى التاج فلم يرَ فيه الفص فصاح: الفص، أين الفص أيها اللصوص؟!

قال له الحرس أنهم لا يعلمون عنه شيئاً، فقال الأمير وقد ذهب لبّه سأضرب رقابكم جميعاً!!

فقال كبيرهم: نقسم لك يا مولاى أنّا لم نرَ شيئاً ولكن بالأمس لما حملنا سموكم إلى هنا، صَرَفنا قائد الحرس ثم تأخّر عنّا قليلاً وتبعنا بعد ذلك وطلب منّا أن نقيم على الباب لانبرحه حتى يصبح الصباح وألا نسمح لأحد بالدخول ومن حاول ذلك نحبسه!

صاح الأمير: إذن هو الذى فعلها، ولكن لماذا؟! هذا أمر لا يُصدّق كيف يُضحِّى بكل ما هو فيه من نعمة وجاه من أجل فصّ من تاج الأمير؟!

قال الأمير ذلك فلم ينطق أحد وساد الوجوم على الجميع، عندئذٍ وصل الحارس ومعه الوزير وقائد الحرس الأسبق فسألهما الأمير عن أمرهما فحكى له قائد الحرس الأسبق ما رأى ليلة أمس، فقال له الأمير والشرر يتطاير من عينيه: خُذ جندك وائتنى به قبل أن تغرب شمس اليوم حياً أو ميتاً.

أخذ القائد نفساً عميقاً ونصب قامته وابتسم فها هو منصب يعود إليه وها هي فرصته لينتقم من خصمه اللدود، فقال والغبطة تغمر جوانحه: أمرك يا مولاى!!

هذا ما كان من أمر الأمير قيدار ووزيره وقائد حرسه، أما ما كان من أمر الأمير "جعفر" كهرمان فقد سار ليلته حتى كادت الشمس أن تُشرق ثم بدأ يفكر فى أمره. وهل ما فعله صحيح أم لا، هل يجوز له أن يخدع الأمير الذى أحبه ووثق فيه وقدمه على رجاله فهل يرد له المعروف بأن يسرقه ويفقده الثقة فى كل من حوله وفى فعل المعروف وهل هذا سلوك حسن لرجل يعبد إلها واحدا هو ملك السماوات والأرض مع قوم يعبدون القمر، أن يقابل إحسانهم بالإساءة، ظلّ الأمير يؤنّب نفسه ثم قرر أن يعود إلى الأمير قيدار ليطلب منه الصفح والعفو، فلوى زمام فرسه وأنطلق عائداً إلى بلاد الأمير "قيدار".

عندما اقترب الأمير "جعفر" من مدينة الأمير "قيدار" رأى عن بُعد غباراً عالياً انكشف بعد قليل عن جنود كثيرين فأدرك أنهم خرجوا فى أثره وعلم أنه سيواجه الكثير من الصعاب، ولكن لا مفر من المواجهة فأعدّ سلاحه ثم انطلق نحوهم.



ما كاد قائد الحرس يراه مندفعاً نحوهم حتى صاح بجنوده: اقتلوه يا رجال، هيا بسرعة!!

قال ذلك وهو يتقهقر للخلف حتى لا يصطدم بالأمير لما يعرف من شدة بائسة، فانطلق الجنود نحو الأمير وظلوا يقاتلونه فترة من الزمن أظهر فيها الأمير كثيراً من ضروب الشجاعة والبطولة حتى استطاع هزيمتهم جمعياً، ليس ذلك فحسب بل وقَيَّدَ قائدهم أيضاً ثم اتجه قاصداً قصر الأمير "قيدار" حتى وصل إليه ثم دخل والحرس يحدقون به من كل جانب حتى وصل إلى الديوان.

لما رآه الأمير "قيدار" يسوق قائد الحرس قام وعلامات الغضب تعلو وجهه وقال: لقد جئت بنفسك أيها اللص اللئيم!!

قال الأمير "جعفر": إذا سمح لى مولاى سأبين له الأمر!!

قال الوزير مقاطعاً: ماذا تريد؟ هل تريد أن تخدع مولاى مرى أخرى أيها اللص المخادع؟

لم يعبأ الأمير "جعفر" بكلام الوزير وأكمل موجهاً حديثة للأمير "قيدار": لو كنت أريد الخِداع ما عُدت إليك يا مولاى مرة أخرى ولكن أرجو أن يتسع لى صدرك يا مولاى بعض الوقت فتسمع حكايتى!!



قال الأمير "قيدار" وقد بدأ يتحكم في ثورته: تكلم وأوجز.

فحكى له الأمير "جعفر" حكايته من البداية حتى النهاية ولما انتهى منها قال: هذا ما كان من أمرى يا مولاى ولك أن تفعل ما ترى!

قال الأمير "قيدار" فى جِدّة: أنت الآن تظن أني قد أعفو عنك وأعطيك الجوهرة وأدعك تنصرف أليس كذلك؟!

قال الأمير "جعفر": وما ذلك بكثير على كرمك يا مولاى.

قال الأمير: نعم، هذه هي شيم الملوك والأمراء!

ثم صاح: أيها الحُرَّاس، خذوا هذا اللئيم وألقوه فى السجن حتى أرى فيه رأيي، ولا تنسوا أن تُشددوا عليه العذاب.

قال الوزير فى انفعال شديد: بل تُضرب عنقه يا مولاى!

نظر إليه الأمير "قيدار" وقال مغضباً: هل تُملى علىّ أوامرك أيها الوزير؟!

قال الوزير: معذرة يا مولاى، ولكنى أشعر بالخوف من دهاء هذا المُخادع ومكره فلربما هرب من السجن بأى حيلة!

تجاهل الأمير ما قاله الوزير وقال للحرس: افعلوا ما أمرتكم به وشدّدوا عليه الحراسة، إذا هرب ساضرب رقابكم!

انصرف الحرس وفي صحبتهم الأمير "جعفر" حيث أودعوه في السجن وأصبح الأمير "جعفر" حائراً لا يدري ماذا يصنع حتى بدأ التعذيب فأنساه التفكير.

أما الأمير "قيدار" فلما جنّ عليه الليل قام فَزِعاً من نومه وقد أحس بضيق شديد في صدره فقام يذرع غرفته جيئة وذهاباً وفكّر في أمر الأمير "جعفر" وعودته إليه طالباً الصفح ثم قال لنفسه: "ولكن هذا لا يخوّل له أن يفعل ما قد فعل" ثم أحسَّ بالندم لأنه طلب من جنوده أن يُشدّدوا عليه العذاب. فقرر أن يذهب إليه على الفور ليرى ما فعله به الحرّس فتوجه إلى السجن وفي صحبته بعض الحرس حتى وصل إلى سجن الأمير "جعفر" فنظر إليه من حيث لا يراه الأمير "جعفر" فرأى ثيابه الممزقة وجلده وقد أكلته السياط حتى أظهرت لحمه وأسالت دمائه فرقّ له قلبه وأحس بالندم على ما فعل ولكن ما أدهشه أن الأمير لم يكن يصيح أو حتى يئن من الآلم بل رآه هادئاً وسمعه كما لو كان يناجي شخصاً ما فاقترب منه في تؤده فلم يفهم شيئاً مما يقول فاتجه نحوه مباشرة فلما أحس الأمير "جعفر" بالحركة حوله نظر فلما رأى الأمير "قيدار" همَّ بالقيام

فلم يستطع لما أصابه من إعياء بسبب شدة العذاب فطلب منه الأمير "قيدار" ألا يُجهد نفسه بالقيام ثم سأله:

- ماذا كنت تفعل قبل أن أدخل عليك؟

أجابه: كنت أناجى ربى!

قال الأمير "قيدار" فى دهشة: تناجى القمر؟! ولكنك لا تراه فى سجنك فكيف تناجيه؟!

قال: بل أناجى ربي ورب القمر.

قال "قيدار" فى دهشة: وهل للقمر إله؟! إنه إله كل شيء.

- الله رب كل شئ، ربى وربك ورب القمر.

- وما الله؟!.

- الله الذى خلق السماوات والأرض ومن فيهن ولا يخفى عليه شئ فى ملكه.

- ومن أدراك بذلك.

- لقد بلّغ نبيه "سليمان" وكلفه بدعوة الناس إلى عبادته ليفوزوا بخيرى الدنيا والآخرة.

- وما الآخرة؟!.



- حياة بعد الموت ليس بعدها ممات، فى الجنة حيث النعيم واللذة وكل ما اشتهت نفسك أو فى النار حيث القيود والأغلال وألوان العذاب

- وهل نحيا بعد الموت؟!!

- نعم. حياة لا ممات بعدها.

- وإلهك هذا هل يعرف إلهنا القمر.

- قلت لك أن القمر ليس بإله إنه مخلوق من مخلوقات الله. فلا يجوز لمخلوق أن يعبد مخلوق مثله.

فسكت الأمير "قيدار" قليلاً وهو يفكّر فسأله الأمير "جعفر":

- ماذا تعبدون نهاراً؟!

- لا نعبد شيئاً بالنهار، فإلهنا لا يظهر إلا ليلاً وينام بالنهار وهو الوقت الذى يفعل فيه كل منا ما يريد دون رقيب، ومن أراد أن يعصي القمر ليلاً فليغلق عليه نوافذه حتى لا يرى إلهنا القمر ولا يراع.

ثم قهقة الأمير "قيدار"، فصمت الأمير "جعفر" وأطرق ينظر إلى الأرض فكف الأمير "قيدار" عن الضحك فقال الأمير جعفر:

- هل هناك إله ينام، وهل هناك إله لا يدري ما يفعل عباده فى النهار أو من وراء الحُجُب. فصمت الأمير "قيدار" على حين أكمل الأمير "جعفر":

- وهل هناك إله لا يدفع عن نفسه النقص أما تراه فى كل شهر يبدأ صغيراً ثم يكبر حتى إذا اكتمل عاد إلى النقص مرة أخرى، فإذا كان إلهاً، لماذا لا يظل على حال التمام فى صورته البهية دوماً؟.

- لا أدرى.

- وماذا يفعل إلهكم حين تتغشاه سحابه فتحجب نوره؟ هل يحطمها ويرسل إليكم نوره أم يظل محتجباً حتى تغادره السحابة كما أمرها خالقها وخالقه؟

- بل يظل محتجباً حتى تغادره.

- هل استجاب لكم من قبل فى كل موطن دعوتموه فيه بإمدادكم بالنصر أو دفع الهزيمة عنكم.

- أشهد انه لا يفعل ذلك دوماً.

- بل لا يفعله أبداً وإنما كل شئ يجري بتقدير العلي القدير.

- لا أدرى بماذا أجيبك.

- عَلاَمَ تعبدونه إذن، أليس الذى خلقه أولى بالعبادة منه؟!

- لماذا يتركك ربك فى قيدك إذن وهو على كل شئ قدير؟!

- لأنى أذنبت ذنباً وهذا جزائي وربي حَكَمٌ عدل!

- هل ينصر عبد القمر على عبده؟!

- قلت لك أننا جميعاً عباده فهو يعاقب عبداً من عباده أخطأ فى حق عبدٍ آخر من عباده!!

سكت الأمير "قيدار" قليلاً ثم قال:

- حدثنى عن ربك هذا!

أخذ الأمير "جعفر" يحدثه حتى أشرق قلبه بالإيمان فآمن بالله وبنبيه سليمان، ففرح الأمير "جعفر" بذلك أشد الفرح، وطلب الأمير "قيدار" من جنوده أن يحلوا القيود عن الأمير "جعفر" وأن يحملوه إلى القصر ففعلوا ذلك، وفى الصباح استدعى له الأطباء ليداووا ما به من جراح، وجاء الوزير ففوجئ بما حدث فقال للأمير "قيدار":

- هل استطاع خداعك مرة أخرى يا مولاى؟

- بل قل هداني إلى الحق إيها الوزير!

- ماذا؟!! أى حق يا مولاى؟



فحكى له الأمير "قيدار" كل ما حدث فقال الوزير:

- هل كفرت بالقمر يا مولاى؟!

- بل آمنت بربي ورب القمر يا وزير وأرجو أن تؤمن به أنت كذلك

فقال الوزير في مكر:

- أجل يا يا مولاى، هذا واجب طالما آمنت أنت به!!

- بل لابد أن تؤمن به عن قناعة!!

- أجل أجل سأفعل سأفعل.

ثم استأذن الوزير في الأنصراف فأذن له الأمير "قيدار" فأنصرف مفكراً فيما سيفعل لمواجهة الخطب الجلل الذى حلّ به. فانطلق إلى كُهّان القمر ليخبرهم بالخبر والذين ما كادوا يستمعون إلى ما قال الوزير حتى جُنّ جنونهم وقال كبيرهم:

- لابد أن نتدّبر أمرنا بسرعة، قبل أن تتفشى تلك الفتنة بين الناس وتحل علينا لعنات القمر!

قال الوزير في مكر: أجل، وقبل أن تصبحوا أنتم وعامة الناس سواءً أمام الإله الجديد!



فتبادلوا نظرات ماكرة ثم بدأوا يتناقشون فيما بينهم عن مخرج لهم من تلك المصيبة العظيمة، حتى استقروا على خلع الأمير "قيدار" عن الأمارة، وإشاعة نبأ كفره بالقمر بين الناس وعقدوا العزم على ذلك.

وخرج الكهان ليعلنوا عليه الحرب أمام الناس ويخبروهم أن القمر قد غضِب عليه وأنه سيغضب على كل الشعب ويصب عليهم لعناته إذا لم يخلعوا عن الإمارة ذلك الأمير الكافر. وفى الوقت نفسه جمع الوزير رجاله وتوجهوا إلى القصر حيث أنضمّ إليه ابن عمه ورجاله وحاربوا من بقى من رجال مع الأمير "قيدار" ثم ألقوه فى السجن هو والأمير "جعفر" حتى تستقر الأمور فى أيديهم وبعدها يقومون بقتلهما.

ونصّب الوزير نفسه أميراً على المدينة وبارك الكهان ذلك الخبر وأعلنوا موافقة القمر عليه، واستقرت الأمور للوزير ولم ينازعه فيها أحد واشرأبت أعناق الكهان وكأنهم أطلِقوا من عقال فانطلقت أيديهم وأيدى الأشرار تعيث فى الأرض فساداً ودماراً وبدأ عهد جديد من الحديد والنار ومرّت الأيام واشتد الظلام، وبدأ الناس يئنون تحت سياط العذاب وجور الحكام وبدأت النار تشتعل تحت الرماد.

أما الأميران السجينان فقد كانا فى سجنهما صابرين يأملان فى الفرج القريب ويهونان على نفسيهما ذلك الابتلاء، حتى كانت تلك الليلة عندما دخل عليهما السجان وقال لهما:

- مولاى الأمير قيدار، هيا استعدا واخرجا بسرعة!!

تعجب الأميران ونظر كل منهما إلى الآخر عندما قال السجان مستحثاً لهما:

- هيا، لا داعى للتباطؤ، فعيون الأمير الجديد فى كل مكان.

قام الأميران مندهشان وسأل الأمير قيدار: ولكن إلى أين؟

قال السجان: سأخبركم بكل شئ بعد أن نخرج من هنا.

وخرج ثلاثتهم يتسللون، وفى الطريق انضمّ إليهم بعض الجنود اللذين كانوا فى الانتظار، وبعد أن ابتعد الركب عن القصر مسافة كبيرة قال السجان:

- أنا يا مولاى خادمكم المطيع "مرجان" ولقد أمنت أنا وأصحابى هؤلاء ( وأشار إلى من معه من جنود) بدين النبى سليمان وآلمنا ما نرى فى بلادنا من ظلم وهوان. ولقد استطعنا يا مولاى أن نصل إلى قائد مخلص من قوادكم اسمه "بهدار" وقد تمكن القائد بهدار من جمع



المخلصين من رجالكم الذين فرّوا من بطش الأمير الجديد وقد اجتمع الجميع يا مولاى فى الوادى الأخضر خلف الجبل الكبير دون أن يدري بهم أحد ينتظرون قدومكم الكريم لقيادتهم واستعادة عرشكم وتخليص شعبكم من ذلك الظلم الفادح.

كان الملك يستمع إلى ذلك كله وقد تَمَلَّكهُ شعور من السعادة ممزوج بالدهشة فشكرهم الأمير على إخلاصهم ووفائهم، وظلوا سائرين حتى وصلوا إلى الوادى الأخضر وقد امتلأ بالخيام. فتوجه بهم مرجان إلى خيمة فى مقدمة الخيام ونادى على القائد "بهدار" مخبراً إياه بوصول الأمير وصاحبه. فخرج القائد من خيمته مسرعاً نحو الأمير حتى وصل إليه فألقى عليه التحية وقبل الأرض بين يديه فاعتنقه الأمير وشكره على إخلاصه وشجاعته ثم مضى الجميع إلى خيمة القائد ونادى المنادى فى الجنود ليجتمعوا أمام خيمة القائد بهدار والذى زفّ إليهم بشرى وصول الأمير "قيدار" ففرعوا لذلك فرحاً شديداً.

وبعد أن نال الأمير "قيدار" وصاحبه قسطاً من الراحة خرج ليستعرض جنده. فتعجب الأمير غاية العجب إذ لم يرَ فيهم أحداً من قواده الكبار الخونة المتملقين فأيقن أن الإخلاص لا يمكن شراؤه بمال أو

منصب ومن كان إخلاصه يُشترى بالمال والمنصب فسينقله لمن يدفع له المال ويغدق عليه المناصب، أما هؤلاء الجنود الصغار فهم القلوب النقية التى تخلص لمن أحبت دون رغبة أو رهبة.

***

كان شهريار يستمع إلى "شهرزاد" منصرفاً عنها بوجهه متأملاً نجوم السماء من خلال الشرفة حتى إذا حّدثته عن إخلاص الأعوان وهل سببهما الحب أم الرغبة والرهبة عندئذٍ حدّق شهريار بنظرة فيها فغضّت هى طرفها بعد أن كانت تثبت عليه عينيها لترى ردّ فعله وصمتت قليلاً على حين قال هو:

- ما أدهاكِ يا شهرزاد وما أعمق بحورك!

- لماذا يا مولاى؟!

فسكت لحظة ثم قال: لا شئ، اكملى الحكاية.

فقالت: تحدث الأمير "قيدار" إلى جنوده فشكر لهم ولاءهم وإخلاصهم ثم دعاهم إلى بذل أقصى جهدهم لهدم دولة الطغيان وكسر سطوة الكهان، فعاهده الجميع على ذلك، ثم أمرهم الأمير بأن يسرعوا التحرك إلى القصر قبل أن يعلم وزيره الخائن بهروبه ويحتاط لذلك.



كان "الجارود" الأمير الحالي للبلاد مجتمعا بالكهنة والأعوان ليشيروا عليه فى أمر الدهماء والعامة الذين بدأوا فى التضجر والسخط فأشار عليه كبير الكهان أن يقدّم منهم قرابين للقمر حتى يقطع ألسنة من تبقى منهم فاستحسن هو ذلك الرأى، وفى أثناء ذلك دخل عليه أحد الحرس مسرعاً وقال:

- مولاى الأمير، لقد هرب السجينان "قيدار" و"جعفر"!!

هب الأمير الوزير من مجلسه صائحاً فى فزع: ماذا؟! كيف هربا؟ سأضرب رقابكم أجمعين!!

قال الحارس: لا ذنب لنا يا مولاى، لقد هرب معهم جنود السجنَ المكلفين بحراستهم!!

فصاح الوزير: إلىَّ بقائد الحرس بسرعة!

فانطلق أحد الحرس وناداه على الفور، فأمره الوزير الأمير:

- أريد رقابهم تحت قدمي قبل غروب شمس ذلك اليوم"

أجابه القائد: أمر مولاى.

وما كاد يتم كلمته حتى جاء حارس أخر وقال: مولاى الأمير، كارثة يا مولاي!!



قال الأمير: ماذا وراءك يا نذير الشؤم؟

- الأمير قيدار يا مولاى.

انتفض الوزير وقال:

- الأمير "قيدار"!! ماذا عنه؟!

- لقد اقترب من أبواب القصر يا مولاى يقود جنداً كثيفاً ووراءه العامة والدهماء يصيحون ويدعون له يا مولاى.

اضطرب الوزير "الجارود" وقد غيرّت المفاجأة لونه وعقدت لسانه فأخرسته هنية ثم قال:

- إيها القائد، أخرج لمواجهتهم!

- ولكن يا مولاى..

- افعل ما آمرك به أو أضرب عنقك.

- لن تستطيع بعد اليوم أن تفعل شيئاً.

فبهت "الجارود" وقال:

- هل ستنضم إلى الأمير "قيدار".

- ليتنى استطيع ولكنى بعتُ عهدى معه مرة ولن يقبل ولائى مرة أخرى بل سيضرب عنقى.



- ماذا ستفعل إذن؟

- سأنجو بنفسى وجندى.

- وماذا عنّى؟

- كنت أود أن أقتلك ولكنى سأعاقبك بأن أتركك لهم.

- أيها الخائن اللئيم!!

- لو لم أكن خائناً ولئيماً لما أطعتك وخنت ولى نعمتى.

ثم تركه وهرب من أبواب القصر الخلفية وتفرّق الكهان والأعوان وقد أصابهم الذعر والكل يحاول أن ينجو بالهرب وأولهم ذلك "الجارود".

اقتحم الأمير "قيدار" وجنوده الديوان فوجدوه خاوياً فقال الجنود "لقد هرب الوزير اللعين يا مولاى" فسمعوا صوتاً آتياً من أحد الأبواب يقول "كلا لم يهرب" ودخل القائد بهدار حاملاً رمحه وقد توجته رأس الجارود فقال الأمير "قيدار" سَلِمت يمينك يا بهدار" ثم نادى فى الجنود قائلاً:

- تعقبوا هؤلاء الكهنة الملاعين وأحضروهم إلىّ فى سلاسلهم

وصعد الأمير قيدار على كرسى العرش فشكر لرجاله بطولتهم ثم وجه شكراً خاصاً للأمير "جعفر" وقال له: لقد تمنيت أن تظل إلى جواري



وزيراً أميناً وصاحباً معيناً، ولكني أعرف هدفك ووجهتك وإني لأدعو الله لك بالتوفيق ولا أجد ما أكافئك به وليس هناك ما يوفي حقك، ولكن خذ هذا الفص الذي غامرت بحياتك في سبيله.

ثم أعطاه الفصّ، ثم دخل الجنود يقودون الكهنة في السلاسل، فأمر الملك بإلقائهم في السجن وهدم معابدهم، ثم تعانق الأميران واستأذن الأمير "جعفر" بعد ذلك ليرحل فأذن له الأمير "قيدار" ثم خرج معه بموكبه مودعاً حتى حدود مدينته ثم أكمل الأمير "جعفر" رحلته حتى وصل إلى كوخ العجوز الضرير وابنته "سحاب" فاستقبلاه في بشاشة وفرح وقالت له سحاب:

- حمداً لله على سلامتك، لقد خفنا عليك خوفاً شديداً!!

وقال له أبوها!:

- ماذا جرى يا بني؟ لقد تأخرت كثيراً حتى ظننا أن مكروهاً أصابك.

فحكى لهما الأمير ما كان من أمره مع الأمير "قيدار" و "الجارود" وبعد ان انتهى من الحكاية قال لهما:

- أشعر بجوع شديد يلتهم أحشائي

ثم نظر إلى سحاب قائلاً:

- هلا تفضلتِ وأحضرتِ لنا شيئاً من الطعام!

تبسمت سحاب وقالت:

- سأعد لك طعاماً شهياً فى طرفة عين.

وبعد أن تناول الطعام قال لسحاب وأبيها:

- والله لقد طوقتما عنقي بفضلكما ولا ادرى كيف أرد جميلكما!

فقال الرجل: لاتقل هذا يا بنى فما فعلنا غير الواجب.

وقالت سحاب: والآن أنت متعب عليك أن تستريح حتى تسترد قواك لتفكر فى أمر الفص الثالث.

اضطجع الأمير "جعفر" خارج الكوخ وظل يفكرّ فى أمر الفصّ الثالث حتى أهتدى إلى فكرة استحسنها، عندئذ استسلم للنوم وغطّ فيه حتى أيقظته حرارة الشمس وعندما استيقظ وحيا "سحاب" وأباها وتناول طعامه طلب من الرجل "الضرير" أن يعطيه الفصين اللذين أحضرهما، فلما سأله الرجل عما ينوى فعله قال الأمير:

- سأغامر بهما فإما أن أخسرهما أو أكسب الثالث



ثم حدثه عن خطته، فقال الرجل: ولكن هذه مخاطرة غير مضمونة العواقب!

قال الأمير فى حزم: لابد من المغامرة!

غاب الأمير عن الكوخ فترة من الوقت ثم عاد مرتدياً على جسده جلد نمر وحذاءاً من جلد البعير وعلى رأسه غطاء من الشعر وفى يده عصاً غليظة من فروع الشجر، فأمعنت سحاب النظر فيه فتبسم لها على حين سألته متعجبة كيف فعل ذلك فأخبرها كيف فعل ذلك ثم استودعها هي وأباها ومضى حاملاً الفصين متجهاً نحو "وحوش الصحراء" وهو الاسم الذى يُطلق على هؤلاء القوم عُباد الشجرة وسُمّوا بذلك لاشتهارهم بالفتك بكل قوم يغيرون عليهم وما يقوم لهم مُنازع.

ظل الأمير "جعفر" سائراً يضرب فى الصحراء يومين وليلتين وفى الليلة الثالثة وصل إلى كهوف القوم فارتقى أحد الجبال ونظر فرأى رجلاً عظيم الجسد يرتدى لباس المحاربين يجلس على كرسى من الصخر وأمامه جمع عظيم من الرجال يلبسون أيضاً لباس المحاربين وأخرين غيرهم قد تحلّقوا حول نار عظيمة على مقربة من شجرة كبيرة عتيقة حولها رجال أشداء يحيطون بها من كل جانب وأمامها يقف رجل يلبس لباساً غير



لباسهم وكما يبدو عليه هو كاهن هذه الشجرة، ورأى كذلك ثلاثة من المحاربين يقودون ثلاثة رجال مقيدين فى الأغلال نحو الشجرة وخلفهم عدد من الجوارى يحملن آنية من الفضة حتى وصل الجميع إلى الشجرة، ثم رأى الكاهن يركع أمام الشجرة ويناجيها لفترة حتى وصل الجميع إلى الشجرة، ثم ينتصب قائماً ويمد يده فى تجويف بداخل الشجرة ليخرج طبقاً من الذهب عليه جوهره، عندئذ خفق قلب الأمير وأدرك أن هذا هو الفص الذى يبتغيه.

نظر الأمير إلى الكاهن فرآه يقبّل الفص ثم يعيده كما كان ويشير بعدها بيده إلى المحاربين اللذين يقودون المقيدين الثلاثة، وإذا بهم يطرحونهم أرضاً ثم يقوم كل محارب بنحر أحد الأسرى وتتقدم الجوارى لاستقبال دمائهم فى الآنية الفضية حتى تمتلئ ثم حملنها إلى حيث يجلس زعيم القوم فشرب من كل إناء قليلاً ثم دار الجوارى يصببن الدماء فى الكئوس لكل الجلوس ، أما عن أجساد القتلى فقد حُملت ووضعت فى أسياخ من الحديد لتشوى على النار!!

شهق الأمير وكاد يغشى عليه لهول ما رأى لكنه تماسك بصعوبة وانتظر فترة قصيرة ثم استجمع قوته ومضى يهبط الجبل وهو يصيح:

- طابت ليلتكم يا وحوش الصحراء!

ما كاد يقول ذلك حتى رأى القوم قد هبّوا من أماكنهم ورأى رماحهم مصوبة إليه فأشار إليهم قائدهم قائلاً:

- مهلاً يا رجال!!

ثم أمر بعضهم فصعدوا الجبل وأحضروا الأمير "جعفر" المتنكر فى لباس الكُهان وأقبلوا به على كبيرهم وقد أحدق به المحاربون من كل جانب وقال له كبيرهم:

- من أنت، وأى قدر هذا الذى ألقى بك إلى حتفك؟!

قال الأمير "جعفر" فى ثبات: أنا كاهن التنين الأسود!

نظر الجميع بعضهم إلى بعض فى دهشة وقد أذهلهم جوابه وقال كبيرهم: تقدم!

ثم أشار إليه بالجلوس وسأله: أتقول إنك كاهن التنين الأسود؟!

قال الأمير وهو يجلس: نعم!

فسأله زعيم القوم:

- كيف ذلك وقد تحطم التنين الأسود من قديم الزمان.



- لقد تحطّم ذلك التمثال، ولكن التنين الأسود هو الروح وليس التمثال إنه إله الشر وإله الشر لا يموت وقد حلّت روحه في تمثال عظيم آخر أُقيم في معبده المقدّس في جزيرة الضباب خلف البحار السبعة في أقصى الأرض، ولقد أخبرني سيدي الكاهن الأعظم كاهن كهان التنين الأسود أن التنين قد اختاركم لتكونوا شعبه المختار وتسودوا الأرض وسوف ينصركم ويُمكنكّم من قهر كل من يتصدى لكم، فأنتم أفضل من راق له على تلك الأرض فاصطفاكم بذلك الشرف ومدّكم سُلّم المجد وعليكم أن تصعدوا ولقد طلب مني الكاهن الأعظم ان أبلغكم بذلك وها قد جئت إليكم لأبلغكم!

اندهش القائد ورجاله بكلامه ولكنهم استطابوه ولدّ لأسماعهم فسأل كبيرهم:

- ولكن كيف نصل إليه؟

- لا شأن لكم، سأقودكم أنا إليه.

وهنا برز صوت جهور من وسط الجميع يقول:

- وما يدرينا أنك لست بمخادع كذّاب؟!

تطلّعت العيون إلى القائل فإذا به كاهن الشجرة وقد أقبل ناحية القائد لما سمع كلام الأمير "جعفر" وكان وجهه يفضح ما فى قلبه من حقد. انقبض الأمير "جعفر" عند رؤيته وحدّث نفسه قائلاً: "هل كتب على مواجهة خصم ثقيل الظل فى كل مكان أذهب إليه"

ثم أعمل فِكرَه وقال مخاطباً الجميع:

- كلكم يعرف أيها الأبطال أن تمثال التنين الأسود قديماً كانت له عين من الجوهر، صنعها له أعظم سحرة الأرض، وقد فُقِدت هذه الجوهرة مع تحطُّم التمثال.

- نعلم ذلك وعندنا هذه الجوهرة نحفظها فى قلب الشجرة التى نعبدها فهى سر قوتنا وقوة آبائنا وأجدادنا من قبل".

- تظاهر الأمير بأنه يعرف هذا الأمر لأول وهلة وقال فى دهشة مصطنعة:

- ماذا ؟! عندكم؟! أنى أجوب الأرض بحثاً عنها منذ زمن طويل!!

وهنا صاح كاهن الشجرة:

- ها قد افتضح أمرك، وظهرت حقيقة مسعاك، وعُرفت غايتك ومطلبك، لقد جئت لتسرق الجوهرة ولكن هيهات، ستلقى حتفك قبل أن تراها!

قال الأمير بثبات:

- مهلاً أيها الكاهن، فما أنا بلص ولا صعلوك، أنا كاهن من كهنة إله الشر، وما جئتكم إلا لأحملكم إلى سعدكم وما لي بكم من حاجة إلا طاعة سيدى وإلهى!

قال كبير المحاربين:

- وما أدرانا أنك صادق فيما تقول حتى نطمئن إليك؟

- إيها القائد، لقد أُمِرتُ من جانب الكاهن الأعظم بالبحث عن الجوهرة وحملها إلى قدس الأقداس فى المعبد المقدّس ولتعلم ويعلم الجميع أن ما تحتفظون به ليس الجوهرة وإنما هو فص من ثلاث فصوص كانت تكون الجوهرة وأنا أبحث عن الفصوص الثلاثة منذ زمن بعيد حتى وجدت فصين من فصوصها وكنت أبحث عن الثالث فى الوقت الذى أحقق فيه المطلب الثانى الذى أُمِرتُ به وهو دعوتكم إلى جزيرة الضباب

حيث معبد التنين الأسود، فأخبرتموني أنتم أن الفص عندكم دون أن يكون لي بذلك علم مُسبق".

قال القائد: أرنا الفصين الآخرين حتى تطمئن قلوبنا.

- ها هم الفصان!!

ثم أخرج الأمير الفصين فنظر إليهم الجميع باهتمام لقد كانا طِبق الأصل من الفص الثالث، وهنا قام قائد المحاربين وقبل يد الأمير "جعفر" وأقبل الجميع بعده يقبلون يد الأمير بينما كان الكاهن يقف والنار تشتعل فى صدره ويفكر فيما سيفعل.

أحس الأمير "جعفر" بما فى قلب الكاهن من حقد وغيظ وأدرك أنه قد يسبب له المتاعب وقد يؤدي ذلك إلى انكشاف أمره فقرر أن يستميل قلبه بأية حيلة، فقام أمام الجميع وصاح قائلاً:

- ولقد طلب" سيدى الكاهن الأعظم أن يكون كاهن الشجرة فى طليعة القوم عند الوصول وأخبرنى بأنه سينضم إلى كهنة المعبد المقدَّس بل سيكون من كهنة قدس الأقداس حيث سيشرُف بتعهد الجوهرة، عَين التنين الأسود

وهنا غمرت الفرحة قلب الكاهن وبدأ حقده يذوب ويحل محله شعور بالامتنان والمحبة وأحس بفخر عظيم لأنه سيصبح من كبار كهان المعبد المقدس للتنين الأسود.

قال الأمير"جعفر":

- والآن عليكم أن تقطعوا تلك الشجرة التى تعبدونها، قال الجميع فى دهشة ممزوجة بالفزع "ماذا؟!! نقطع ؟!" قال الأمير فى حزم:

- نعم. تقطعون الشجرة، فأنتم من الآن تعبدون التنين الأسود، لا إله لكم غيره.

القائد - أجل إيها الكاهن، ولكن...

الأمير- ولكن ماذا أيها القائد.

- ولكننا نخشى على أنفسنا من بطشها إذا حاولنا قطعها.

- كيف تخشون بطش الشجرة، وأنتم من أصطفاهم التنين الأسود إله الشر، ما هكذا كان ظنى بكم!!

- لا تظن بنا الجبن أيها الكاهن ولكنك تعلم أن هذا الأمر شاقٌ علينا.

- كل الذى أعلمه أنكم أصبحتم من الآن عباداً للتنين الأسود تأتمرون بما يأمر، وتنتهون عما ينهى عنه، والآن ليقم الكاهن فيحضر الفص، قم يقوم جماعة منكم بقطع الشجرة وسأكون أن أول من يضربها بفأسه".

قام الكاهن فأحضر الفص وأعطاه للأمير"جعفر" ثم حمل الأمير الفأس وضرب الشجرة ثم تقدم الرجال وقطعوها، عندئذٍ أحسّ الأمير بغبطة شديدة لقطع تلك الشجرة لبغضه لكل ما يُعَبد من دون الله.

قال الأمير: حسناً. فى الصباح سنبدأ رحلتنا ببركة التنين الأسود ليُعِدّ كل منكم عدته للرحيل!

ثم انصرف الجميع إلى كهوفهم، أما عن الأمير "جعفر" فقد طلب منه القائد أن يبيت فى كهفه، فشكره الأمير وأخبره بأنه لن يثقل على أحد من المحاربين بّالمبيت عنده بل سيبيت بالعراء أسفل الجبل، وكان الأمير يأمَل فى الهرب عند نومهم، لولا أن كاهن الشجرة قال:

- بل سيشرفنى سيدى الكاهن بالمبيت معي في كهفي وأرجو إلا تحرمني من هذا الشرف.



حـاول الأمير أن يشكره ويهرب من المبيت معه ولكن دون جدوى فقد أصرّ الكاهن على ذلك فمضى معه الأمير إلى كهفه. حيث ظلّ الكاهن يحكى للأمير عن وحوش الصحراء وشجاعتهم وبعض حكاياتهم وبطولاتهم وأنهم أفضل من يكون شعباً مختاراً للتنين الأسود. ثم أنصرف كل منهم إلى النوم. لم ينم الأمير ولكنه ظل يفكر فى أمر الهرب حتى تيقن من أن الكاهن قد نام فقام بهدوء شديد وتسلل ثم خرج من باب الكوخ وما كاد يخطو خطوات حتى وجد الكاهن يقف وراء ظهره قائلاً:

- إلى أين سيدى الكاهن؟!

ارتبك الأمير لما حدث ولكنه تماسك وقال فى هدوء:

- حسناً، لقد استيقظت أنت أيضا أيها الكاهن. هل هو نفس السبب الذى استيقظت أنا لأجله؟!

- وما هو ذلك السبب يا سيدى؟!

- لقد جائنى الكاهن الأعظم فى منامي وطلب منى أن أخرج إلى خارج الكهف وأنظر إلى القمر حيث أن مولاى التنين الأسود سيرسل لى رسالة مع ضوء القمر تنبئنى عن أفضل طريق نسلكه بهذا الجمع الحاشد من المحاربين لنصل فى أقرب وقت إلى جزيرة الضباب.

- حسنا يا سيدى. لقد خشيت أن يكون قد ألمَّ بك مكروهاً لما أحسست بك تخرج فى هذا الوقت.

- حسناً. والآن أركع على قدميك وانظر إلى الأرض ولا تنظر إلى القمر حتى لا تفقد بصرك فأنا سأستقبل رسالة مولاى التنين الأسود.

ففعل الكاهن ما أُمر به حتى قال له الأمير:

- حسناً هيا بنا الآن لنكمل نومنا فأمامنا فى الصباح سفر طويل.

ثم دخل الأثنين إلى الكهف وناما حتى الصباح، وفى الصباح كان الجميع قد أعدّوا العدة للرحيل.

- ظل الركب يقطع الصحراء أياماً وليالى، وفى أثناء الرحلة حاول الأمير "جعفر" الهرب أكثر من مرة وفى كل مرة يعوق هروبه أمر ما، حتى أنقضى على رحلتهم خمسة أيام وفى ليلة اليوم السادس بينما كان القوم يتجاذبون أحاديث السمر إذ أقبل أحدهم مسرعاً وقال:

- لصوص يا سيدى، يبدوا أنهم قطاع طريق سيغيرون علينا!!

صاح القائد: أعدوا عدتكم يا رجال!

ثم سأل القادم "كم عددهم" فقال "كثير يا سيدى- كثير" فتوجه القائد بالحديث إلى الأمير "جعفر" قائلاً: ألا تدعوا لنا التنين الأسود كى ينصرنا ويهلك أعدائنا؟؟ فصاح الأمير فى دهشة:

- كيف تطلبون نصرته من الآن وفى مواجهة هذا العديد الضئيل من قُطّاع الطرق. أريدكم أن تفنوهم عن بكرة أبيهم وتثبتوا للتنين أنكم أصحاب بأس وقوة، وأن أختياره لكم كان أختياراً صائباً. لذا عليكم أن تواجهوهم بأنفسكم وأعلموا أنه لن يتخلى عنكم إن اصابكم مكروه.

- حسناً أيها الكاهن.. قالها القائد ثم أمر رجاله بالاستعداد فركبوا خيولهم واندفعوا يطلبون المهاجمين، أما الأمير "جعفر" وكاهن الشجرة فقد ظلاّ في مكانهما يراقبان ما يحدث حتى اصطكت السيوف وتعالى الغبار وعندها فوجئ الكاهن بالأمير يباغته فيقيده ويكمم فاه ثم يقول له إيها الكاهن لقد صدق حدسك، وما جئت إليكم إلا من أجل هذا الفصّ ولكنى سأترك لكم ما هو خير لكم من الفصّ، سأترك لكم دعوة لعبادة رب واحد قادر على كل شئ هو الله، فها قد رأيت أن الشجرة لم تتمكن من الدفاع عن نفسها فكيف تدافع عنكم، وأقول لك أيضاً أن التنين الأسود هو الآخر تمثالاً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً حتى تحطم ولم تقم له قائمة،



لذلك فخير لكم أن تعبدوا الإله الأوحد، إله النبى سليمان إله الخير والشر وأن تتركوا تلك الأباطيل!!

ثم ركب الأمير على فرس قوية وانطلق بها فى الصحراء ينهب الأرض نهباً وكأن الموت يطارده حتى مرّت عليه ثلاث ليال وأربعة أيام دون أن يدركه أحد وفى الليلة الرابعة وصل إلى كوخ الرجل الضرير وابنته حاملاً الفصوص الثلاثة.

وفى الكوخ استقبلت سحاب وأبيها الأمير "جعفر" بفرح شديد وهنأه بالسلامة فشكرهم وجلس معهم وقصّ عليهم ما كان من أمره مع "وحوش الصحراء" والفص الثالث.

كان الرجل الضرير يستمع إلى الأمير وعلامات الإعجاب والإكبار له ملكت عليه حواسه أما عن سحاب فقد كانت تستمع إلى الأمير ساهمة مأخوذة بما يقول وبما فعل، وبعيداً عن رحلة الكفاح الطويل للأمير لاسترداد محبوبته وما لاقى فى أثناء ذلك من تعب وعناء فى مواجهة أقوام كثيرين - وفى حنايا ذلك القلب الصغير قلب سحاب كانت هناك بذور تُبذر ونبات جميل ينمو إنها بذور ونبات الحُب، نعم لقد بدأت تحب الأمير "جعفر" وعندما أحست سحاب بهذا النبات الوليد حاولت أن تمنع



عنه الماء حتى لا ينمو وحتى يُضمُر وينتهى كأن لم يكن - لأنها كانت مع رقتها وشفافيتها ذات عقل راجح تدرك أن ليس لها فى الأمير أدنى أمل فقلبه معلق بسواها - ولكنها رغم محاولاتها المستميتة لم تستطع أن تقضي على ذلك الحب النامى الذى ظل ينمو وينمو، دون أن يدرك الأمير من أمره شيئا.

أخبر الأمير سحاب وأباها بأنه يريد أن يكمل رحلته مع شروق شمس اليوم الجديد فسأله الرجل الضرير أن يبقى معهم بضعة أيام حتى يستريح مما مر به من أهوال ويستعد لما هو آتٍ وقالت سحاب وهى تغالب أحاسيسها الجياشة وتحاول كتمانها:

- ألا تبقى معنا بضعة أيام أخرى؟ أم مللتنا إلى هذا الحد؟!

قالت ذلك وهى تغالب دمعة حارة كادت تطفر من عينيها لكن الأمير كان شارد العقل يفكر فى محبوبته التى ما شغلته عنها الأهوال فقال وهو ينظر فى الأفق إلى اللاشيء:

- كيف أنتظر ولو استطعت أن أطير إليها على جناح الريح لفعلت؟!

فقامت سحاب فى هدوء ودخلت إلى داخل الكوخ وأطلقت لدموعها العنان فى حين لم يلاحظ ذهابها الأمير الشارد ولا الأب الضرير وبعد قليل تساءل الأمير:

- أين ذهبت سحاب؟

فكفكفت دموعها وأجابته من داخل الكوخ وبعد أن تحكمت فى مشاعرها بأنها تُعِدّ له بعض الطعام فشكرها وبدأ يتحدث مع أبيها عن تفاصيل الرحلة الآتية إلى بلاد الجان.

وبعد حديث طويل وبعد تناول الطعام طلب الأب الضرير من أبنته أن تأخذ بيده ويدخلا الكوخ حتى يستريح الأمير قبل سفر الغد. ودخلا إلى الكوخ.

رقد العجوز فى الكوخ وغطّ فى نوم عميق على حين جفا الكرى أعين المحبين التى اكتحلت بالسُهاد فظلت ساهرة. عينا سحاب وعينا الأمير. أما عن سحاب فقد كانت متضعضعة الأركان مزلزلة الفؤاد وقد اشتد خفقان قلبها وأحرقت الدموع الساخنة وجنتيها فلم تبق سوى ساعات من الليل ويمضى الأمير إلى حيث لن تراه بعدها أبداً.



أما عن الأمير فقد تضاعفت أشواقه بعد أن نجح فى جمع فصوص الجوهرة ولم يبق له شغل شاغل غير إلفه المفقود يناجى بدر السماء ونجومها عن حالها ويُسائل النسمات أيهن تحمَّلت بعبيرها وظل طوال ليله مفكراً فى "قمره" الغائب حاله كما قال الشاعر:

وإ وانى لا ستغشى وما بى نعسة ة ... ل لعل خيالاً منك يلقى خياليا ا

إ انا نحن أولجنا وأنتِ أ مامنا ام ... كَ كفى لمطيانا بذكراكِ هاديا ا

نك ذكت نارُ شوقى فى فؤادى فأصبحت ت ... ل لها وهج مستضرمٌ فى فؤاديا ا

ت تمر الليالى والشهور ولا أرى ى ... غرامى لها يزداد إلا تماديا ا

وفى الصباح تناول الأمير طعامه مع الرجل وأبنته ثم أخذ يهيئ نفسه للرحيل ثم مضى إلى خارج الكوخ ومعه الرجل الضرير وأبنته سحاب حتى وصل إلى قُرب الشاطئ وهناك طلب الرجل الضرير من الأمير أن يعطيه الفصوص الثلاث فأعطاه إياها ولما أخذها الرجل وضعها على الأرض ثم جلس إلى جوارها وأخذ يقرأ تعاويذ غريبة وبعد قليل توهجت الجوهرة بضوء شديد ثم تجمع هذا الضوء على شكل قوس كبير حول الجوهرة وعندما اندهش الأمير بشدة سأله الرجل الضرير:



- ماذا ترى يا بنى؟

- أرى من ذلك القُوس مَرجاً أخضر ملأته الزهور والأشجار وصدحت فى أرجائه الأطيار وفى وسط هذا المرج بحيرة كبيرة!

وهنا قال الرجل:

- نعم . هل ترى هذه البحيرة؟.

- نعم أراها.

- ستدخل الآن من هذا القوس إلى ذلك المرج حتى تصل إلى ضفاف تلك البحيرة وتجلس وتغمض عينيك ولا تفتحها أبداً عندها ستحس بشئ يحملك من على الأرض ويطير بك فى الجو، لاتفتح عينيك حتى يتركك هذا الشئ - الذى يطير بك - على الأرض. عندها تكون وصلت إلى بلاد الجان. وهذا كل ما استطيع أن أقوله لك وعليك بعدها أن تكمل طريقك الشاق وحدك ولكن"خذ حذرك قبل أن تُحدث أحداً عن مقصدك فلربما تقع فى أيدى رجال الملك المغوار.

شكره الأمير وودعه هو وأبنته وبعد أن أدخل إحدى قدميه إلى داخل القوس حانت منه التفاته ناحية "سحاب" فرأى دموعها ولكن الوقت لم يمهله ليسأل عن سبب الدموع فقد وجد نفسه داخل المرج وقد اختفى



القوس وانتهت سحاب وأبوها من حياته وبعد الفراق فكّر الأمير فى سحاب إنها فتاة رائعة الجمال خفيفة الروح صلبة العزيمة وأحس لفراقها ببعض الضيق الذى عزاه إلى فراقه لهم بعد أن أحس بالألفه معهم وقال لنفسه" هكذا الإنسان كلما فارق ما ألفه" ثم صرف ذلك عن خاطره وعاد للتفكير فى رحلته وظل يسير فى ذلك المرج حتى وصل إلى شاطئ البحيرة فجلس كما طلب منه الرجل الضرير وأغمض عينيه وما هى إلا برهة من الزمن حتى أحس الأمير بشئ ما يرفعه من كتفيه ويطير به فى الهواء، أحس الأمير أول الأمر برهبة لما هو فيه فها هو يطير فى الهواء وغير مسموح له بأن يفتح عينيه ليرى ماذا يجرى حوله أو حتى ما هذا الذى يحمله. لكنه تمالك نفسه واستجمع شجاعته وبدا رابط الجأش، ومضى الوقت بطيئاً شديد البطء وبدأ الأمير يشعر بضيق شديد فى صدره وبدأ يتلقى لفحات من الهواء البارد شديد البرودة تعقبها لفحات من الهواء شديد السخونه ثم سمع الكثير من الأصوات الغريبة ثم تسللت إلى أنفه روائح طيبة استكانت لها نفسه أعقبتها روائح نتنة كادت تخرج معها روحه حتى كاد الأمير يفقد صوابه ويُجنّ عند ذلك نفذ صبره ففتح عينيه ليرى ما يحدث حوله فنظر إلى أعلى فرأى طائراً مهولاً يحمله ويطير به

حاول عندها أن يتأمل ملامحه لكنه لم يجد الوقت الكافى لذلك فقد ضربه الطائر بجناحه بقوة ثم أرخى مخالبه وهنا أحس الأمير بأنه يسقط إلى أسفل وأحس بأن الدنيا تغير أمام عينيه ثم أُغشى عليه.

***

قال شهريار:

– ما عهدتُكِ من قبل تحطمين قلوب المحبين!

قالت شهرزاد وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة رقيقة:

– اتقصد سحاب يا مولاى؟!.

– نعم أقصد تلك المسكينة التى تعذبت بسبب الهوى اللعين دون ذنب تجنيه سوى أنها استسلمت لقلبها.

قالت شهرزاد وهى تنظر إليه نظرات مُحَمَّلة بالدهاء وقد ابتسمت فى خبث:

– أرى مولاى قد اشفق على تلك المُحِبة المُعذبة.

– نعم أنا مشفق عليها لأنها فتاة جميلة رقيقة ترعى أباً ضريراً تحيا معه وحيدة فى الصحراء، فلماذا تستسلم لذلك الداء العضال والمرض الخبيث المسمى بداء الهوى..



- حنانيك يا مولاى فذاك ليس ذنبها ولا ذنب من أحبت، فوفاء الأمير لمن أحب هو الذى أشقى "سحاب" حيث لم تجد من الأمير حباً يكافئ حبها بل لم تجد منه حباً على الإطلاق إلا حب الضيف لمن استضافه، أما عنها هى فقد كانت فتاة عاقلة أدركت أن حبها له يعيش طويلاً.

- ورغم ذلك فقد شقيت به.

- أجل يا مولاى. إن للحب ضحايا فى كل مكان كما لكل شئ عظيم ضحايا بل ربما يكون ذلك قد هذّب إحساسها وصقل تجربتها ومع الأيام ستنسى هى الأمير وتعود لحياتها ولكن أكثر وعياً وأكثر حبا لكل ما حولها.

- أتقصدين بكلامك هذا أنهما لن يلتقيان مرة أخرى؟

تبسمت شهرزاد وقالت:

- هل أكمل الحكاية يا مولاى ونرى ما سيحدث؟!.

- أجل أكملى، لنر أيضاً ماذا فعل ذلك المسافر بعد أن أغشى عليه.

- بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن الأمير "جعفر" أفاق من غشيته دون أن يعلم كم من الوقت أنقضى وهو مغشىُ عليه، ولما أفاق

رأى نفسه فى سرير كبير على فراش حريرى ووسائد من ريش النعام وقد أحدقت به عيون كثيرة أقربهم إليه فتاة أكثر إشراقاً من القمر المضيء بجبهة كالمرآة المصقولة وشعر حرير كأمواج الليل العاتم عليه تاج جميل من نفيس الدرّ والجوهر بعينان كعيون المها وأنف كحد السيف المصقول أحاطت به وجنتان كالأرجوان وإلى جوارها يقف طفل فى سن العاشرة بوجه مضيء وشعر مسترسل جميل وعلى رأسه تاج صغير...

لما أفاق الأمير رأى الإبتسامة على وجه الفاتنة والولد الصغير ومن وراهما من جوار.

أدار الأمير بصره فيما حوله فرأى غرفة فسيحة الأركان مفروشة بأفخر أنواع الفُرُش وتساءل "أين أنا" فقالت الفتاة:

- حمداً لله على سلامتك. ستعرف أين أنت ولكن عليك أولاً أن تدخل إلى الحمّام ثمّ نتناول الطعام وتعرف بعدها كل شئ..

شكرها الأمير وصفقت هي للجوارى وأمرتهن بإعداد الحمّام للأمير وإعداد حُلة فاخرة له فأنصرفن لذلك.

بعد أن خرج الأمير من الحمّام وارتدى حلته الثمينة قادته الجارية إلى مكان الطعام حيث كانت الفتاة والغلام الصغير ينتظرانه فى قاعة



فسيحة مُعَدّة للطعام وعلى خوانها المنصوب كل ما اشتهت النفس من صنوف الطعام.

جلس الأمير لتناول الطعام وأثناء تناوله للطعام قالت له الفتاة:

- نرجو أن نكون قد وفُقنا لإراحتك أيها الفارس!

قال الأمير وقد رأى عليها وأخيها سيما المُلك:

- مولاتى الأميرة، إن لسانى يعجز عن النطق ولا أدرى كيف اعبِّر عن شكرى وامتنانى.

- لا داعى لذلك، فنحن لم نفعل أكثر مما يجب علينا.

صمت الأمير وأخذ ينظر نحو الأميرة والأمير الصغير ثم يَرُد بصره فى حياء كمن يريد شيئاً ويتهيب السؤال عنه، ففهمت الأميرة ما يبغى وقالت له:

- تريد أن تعرف من نحن وأين أنت. وما هذا المكان وأنا سأحكى لك كل شئ ولكن بعد أن تخبرني من أنت وما الذى جاء بك إلى هنا وكيف سقطت فى البُستان من السماء كما رآك العبيد؟!

همَّ الأمير أن يحكي لها قصته ولكنه تذكّر وصية الرجل الضرير له بألا يحكى حكايته لكل من يلقاه إذ ربما كان من أعوان الملك المغوار



فيشى به فيكون بذلك هلاكه فعَدَل عن ذلك ثم نظر إلى الأميرة مرة أخرى وقال لنفسه "ليس من الممكن أن يكون لهذه الزهرة اللطيفة ذات القلب الرقيق أى رابط بذلك الوحش المسمى بالمغوار" كما أنه لا يستطيع أن يبتكر لها فى توه حكاية تبرر لها سقوطه من السماء. كان الأمير متردداً فى الجواب على حين كانت الأميرة تنظر إليه نظرات متطلعة للجواب فخجل الأمير من صمته وقرر أن يصدقها القول فبدأ يحكى لها حكايته فانتبهت له حتى أنتهى من حكايته وقالت له:

- مرحباً بالأمير "جعفر" فى بيته الثانى.

وصمتت هنيهة ثم قالت:

- أما أنا فاسمى "رمش العين" وهذا أخى الصغير "نور الزمان" ولنا حكاية عجيبة لو كُتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر.

ثم بدأت الأميرة تحكى حكايتها.

***



قالت الأميرة "رمش العين" للأمير "جعفر":

- سأحكى لك حكايتى من البداية من الملك "السمندل" جدى ملك ملوك الجان وهو من الجن المؤمنين بنبى الله سليمان وقد كان ملكاً ذا سلطان عظيم إذا لبس رداء الحرب أمطرت السماء ناراً فوق رؤس أعدائه ومضى النصر يزحف فى ركابه هو وحلفائه. كان ملكاً على مملكة مترامية الأطراف تضم سبع ممالك كبرى وممالك عدة أصغر وكان على رأس كل مملكة من الممالك الكبرى أحد أبناء الملك "السمندل" السبعة. كان الملك السمندل شديد الحزم صلب الإرادة ذا هِمّة لا تعرف الكلل مرهوب الجانب حتى تنافس ملوك الأرض يخطبون وده ويحالفونه أو يعلنونَ الخضوع له. لم يكن ممن يخلدون إلى الترف والدعة ومجالس اللهو عَلِم منذ صغره أنه لم يخلق للراحة ولكن للتعب والكفاح المضنى وكان يجد فى ذلك الكفاح كل متعة. عَلِم ذلك منذ صغره عندما وُلِد لأمير إحدى الإمارات الصغيرة فى مملكة الجان التى كانت ممزقة إلى إمارات متناحرة متحاربة تنهش بعضاً نهشاً - وعند مولده تنبأ له المنجمون والعرّافون بأنه سيكون ذا شأن عظيم وسلطان جسيم فبدأ أبوه يعده لذلك اليوم ولم تبخل عليه الطبيعة بشئ حتى قيل أنها كمّلته وجمعت فيه كل مواهبها،

كـان معجـزة حيرت مُعَلّميـه ومُرَبيـه. وبعـد أن تـولى الحكـم نَعِمـت رعيتـه بحكمه وعمها الرخاء والعدل وأحبه الجميع وقدّسوه تقديساً كاد يصل إلى مرتبة العبادة لولا ما عُرف عنه من صلابة الدين. لم يبغضه من رعاياه سوى المارقين وقطّاع الطرُق ومردة الشياطين الذين شرَّد جمعهم وفتت قواهم وضيّق عليهم كل سبيل فكانوا يبغضونه بغضاً شديداً، ولكن بماذا يجديهم ذلك البُغض أمام حزمه وقوة بطشه فلم يكن أمامهم سوى الفِرار إلى خارج أطراف مملكة الملك "السمندل" فى الغابات والجبال والتي لم يهنأوا بالمقام فيها فجنود ملك الجان فى أعقابهم دوماً ومن بين هؤلاء كان ذلك المارد الشيطان المسمى بالمغوار، ابن خادمة النار والذى كان هو الآخر مُعجزة ولكن فى الشر له مواهب لا حصر لها فى تدبير المكائد والحيل. هرب "المغوار" إلى جبل النار وكان يحاول دوماً جمع المردة والمارقين حوله ليجْعل منهم قوة وسلطانا لكن الملك "السمندل" كان العقبة الكئود التى أرّقته دوماً لذلك كان "المغوار" يبذل كل مساعيه لنسج مؤامراته فى الخفاء وجمع ما يستطيع جمع من الأعوان وتدريبهم منذ نعومة أظفارهم على الولاء والإخلاص واختيار أصحاب العقول والمواهب للقيادة.



مرّت الأيام وقوة "المغوار" تنمو فى الخفاء ببطء شديد حتى مَرِض الملك "السمندل" مَرَض الموت فجمع أبناءه السبعة وأوصاهم بالاجتماع وحذّرهم من الفُرقة وأوصاهم بالعدل فى الرعية والضرب بحزم على أيدى المارقين وقطع رقاب أصحاب الفِتن ودُعاة التفرق، ثم أوصى لابنه الأكبر "شدوان" من بعده ليكون على العرش عرش المملكة الكبرى ثم فارق الحياة بعد تاريخ من الكفاح الطويل.

أدمى موت الملك "السمندل" قلوب كل رعاياه فى الوقت الذى أحيا فيه الأمل فى قلوب المارقين والمُطَارَدين الأشرار والذين أحسّوا أن الوقت قد حان ليبنوا بنيانهم الشيطانى داخل ممالك الجان تحت قيادة ذلك الملعون المسمى بـ"المغوار". ومن جبل النار بدأت الشياطين تُطِلُّ برؤسها على ممالك الجان الكبرى وبدأت بذور الشر والفتن تغرس فى التربة ويسقيها شياطين قَهره فى الوقت الذى زاد فيه توافُد قوى الشر على جبل النار واتساع مملكة الملك المغوار.

وردت أنباء إلى الملك "شدوان" بشأن تلك القوة الشيطانية المتنامية، لكنه لم يُلقِ لها بالاً، وتتابعت الأخبار منذرة بالخطر الوشيك وقد حاول الوزير "بُرهان" مراراً أن ينبه الملك لخطر هؤلاء المارقين لكن



دون جدوى. فالملك لا يرى فى هذه الشرذمة خطراً على ممالكة المترامية الأطراف ويرى أن جيوشه الجرارة قادرة على سحق أعظم الجيوش فماذا يكون شأن هذه الحفنة من اللصوص.

كان للملك "شدوان" وزيراً أخر هو "جرموز" والذى كان يحذو حذواً مخالفاً لحذو الوزير "بُرهان" فقد كان ميالاً إلى اللهو والترف وقد بدأ يحبب ذلك الأمر إلى قلب الملك ونجح فى ذلك فعلاً فقد بدأ الملك يقيم مجالس الطرب فى قصره كل ليلة وبدأ جرموز يبتاع الجوارى والمغنيات والراقصات والعازفات.

كان "المغوار" يعرف أن لديه سلاحين فتاكين لابد أن يحسن استخدامهما وهما النساء والذهب فالنساء هُنّ شباكه التى سيسحب بها عِلية القوم وأصحاب الحكم من نياط قلوبهم فانتقى الداهيات من الجوارى وعلمهن الرّقص والغناء والعزف وفنون الملاحة واللطف وكل ما من شأنه أن يذهب بلب ذوى الألباب ثم سلمهنّ إلى النخاسين من أتباعه ليتولوا إدخالهن إلى قصور الملوك والأمراء والوزراء والقادة بعد أن عرفت كل منهن دورها وحفظته، ثم الذهب ذلك السلطان المتوج فوق كل سلطان والذى به سيشترى الكبير والصغير فهو يعرف أن أصحاب



الشهوات الرخيصة أكثر عدداً من أولئك الذين يتمتعون بالمشاعر النبيلة وقد كان أعوان "المغوار" ذوى خبرات واسعة فى نهب المال بشتى الطرق وخبرات لا تقل عنها فى تصريفها فى مصارفها الشيطانية وقد نجحوا فى توجيه الكثير من رجال المملكة إلى طريق شهواته والبحث عن مصالحه الخاصة حتى لا يفطن الجمع إلى العدو المشترك لهم.

كما بدأ "المغوار" بالتفكير فى حيلة أدهى ببث رجال بالغى المهارة فى إثارة الفرقة والتمزق تحت دعاوى متفرقة مثل تباين اللون، اختلاف الأنساب الغنى والفقر وغيرها من أسباب إثارة الفتن.

لم يبق قصر من قصور الملوك والأمراء إلا وللمغوار فيه عيون وأعوانٌ حتى أن بعضهم اقترب من البلاط الحاكم اقتراباً شديداً، وكانت أشد الضغوط وطأة على قصر الملك "شدوان" حيث غزاه بالعبيد والمستشارين والجوارى التى وصل بعض منهم إلى أن تكون محظية الملك "شدوان" كما استطاع "المغوار" عن طريق الجوارى أن يتلاعب بالوزير "جرموز" بين أصابعه، وعن طريق "جرموز" و "لؤلؤة" محظية الملك "شدوان". استطاع "المغوار" أن يدفع الملك إلى إلغاء مجلس الحكماء الذى كوّنه الملك السمندل ومنحه سلطات واسعة ليعاونه فى أمور الحكم وكان مكوناً من

رجال من ذوى الحكمة والعقل يختارهم أبناء ممالك الجان يختارون حكيماً من كل مملكة يكون الأدرى بحالها وما تحتاج إليه، وقد استطاع ذلك المجلس أن يؤدى دوره بنجاح حتى ألغاه الملك "شدوان" مما أثار سخط الناس واستيائهم.

**حاول الوزير "برهان" أن يثنى الملك عن عزمه بإلغاء مجلس الحكماء ولكن دون جدوى حتى أن الملك لما رأى إلحاح الوزير "برهان" على ذلك ونصحه الدائم له بترك الملذات نبذه وجفاه وقرّب إليه "جرموز" أكثر وأكثر.**

بعد إلغاء مجلس الحكماء بدأ ذيول المغوار وعلى رأسهم "جرموز" و "لؤلؤة" يُزينون للملك شدوان عزل إخوته عن ممالك الجان وتولية أبنائه عروش هذه الممالك وظلوا يحاولون إقناعه بذلك حتى وافق وقرّر أن يتخلص من إخوته ويجعل أبناءه ملوكاً على هذه الممالك مع حداثة سنهم وكان هذا بمثابة إشعال نار الفتنة التى لن تنطفئ فقد نشبت بين الإخوة حروباً ضروس طالت لسنوات وأكلت كل الخيرات وأنهكت البلاد، وقد بلغ الحدّ بالملك "شدوان" أن قتل بعضاً من إخوته الذين ظفر بهم فى الحرب ولجأ بعضهم الآخر إلى المغوار - والذى كان قد أقام له مملكة كبيرة



فى جبل النار لجأوا إليه لينصرهم على إخوتهم، فسارع "المغوار" متظاهراً بنصرتهم وأحكم قبضته على تلك الممالك حتى أصبح ملوكها عبيداً أذلاء عنده يأمرهم فيطيعون ويشير إليهم فيلبون حتى كانت أعظم الحروب التى حارب فيها "المغوار" الملك "شدوان" فانتصر عليه وقتله واستلب عرشه وجعل نفسه ملكاً لملوك الجان ثم أعمل سيفه فى ملوك وأمراء بيت الملك "السمندل" وأقاربهم وأنصارهم وفتك بهم فتكاً ذريعاً ولم يرأف حتى بمن أعانوه كالوزير "جرموز" أو من لجأ إليه من الأمراء والملوك لطلب نصرته بل كان هؤلاء أول من بدأ بقتله وسبى الملكات والأميرات فانتقى منهن من شاء من الجوارى وقسَّمَ البقية بين أعوانه، ونصَّبَ أعوانه ملوكاً وأمراء وحملهم فى أعلى الدرجات والمنازل ولم ينج من سيف المغوار وسجونه من بيت الملك السمندل سوى القليل.

كل ذلك والأميرة تحكى للأمير "جعفر" ثم قالت له:

- وَكُنَا أنا وأخى هذا ممن بقى من أسرة الملك السمندل فنحن أبناء الأمير "خاقان" أصغر أبناء الملك السمندل.

صمت الأمير قليلاً وبدأ عليه التأثر لما قالته الأميرة "رمش العين"، وبعد هنيهة قال:



- ولكن ما لهذا اللعين والأميرة التى كنت سأتزوجها وبيننا وبينه بلاد وسفر طويل؟

وكان يبدو من السؤال أن الأمير قد نسى ما قاله له العجوز قبل بداية الرحلة.

قالت الأميرة:

- إن لهذا اللعين نهم لا ينتهى للجميلات، وله فى كل محفل يُقام للك من الملوك، عيون يأتون له بأخبار الفاتنات اللائى يحضرن هذه المحافل، كما يجوبون له الممالك بحثاً عن الجميلات من الإنس والجن. أما عن كيف يستطيع أن يختطفهن فإن ذلك لا يعجزه، فلديه فى جبل الصقيع من السحرة الجبابرة الذين لا يضاريهم أحد فى فنون السحر الأسود وعلى رأسهم "أم القدود" وكذلك المردة والشياطين من أعوانه وخدمه، لذلك فمغامرتك شاقة جداً فهو كما ترى قلعة شاقة من الشر والجبروت محصنة بكل سلاح مما تعرف ومما لا تعرف.

- ولكن ما هذا المكان الجميل الذى تقيمين فيه وكيف لم يصل إليك المغوار طوال هذه المدة؟



- إن هذا القصر وما حوله من رياض وبساتين وما يجرى فيها من أنهار وما بها من عبيد وخدم وجوارى كان أبى قد استقدم له أمهر البنائين وبناه هنا بعيداً عن ممالك الجن ليجعله خلوة له ينقطع فيها عن الناس إذا ضاق صدره. ولم يكن يعلم بأمره إلا رجل مؤتمن هو حاجب والدى الملك. حتى أنا وأمى وأختى لم نكن نعلم عنه شيئا.

- لذلك لم يستطع أحد من عيون الملك المغوار أن يرشده إلى ذلك القصر. ولكن كيف عرفته أنت؟.

- لقد قلت لك أن هناك رجلا مؤتمنا كان يعرف القصر وهو الحاجب. لقد استطاع أن يهرب بى أنا وأخى الصغير قبل أن تقتحمَ قوات الملك المغوار قصور أبى وتخفَّينا فترة من الزمان وبقينا ننتقل من مكان إلى مكان حتى وصل إلى هنا بعد رحلة شاقة.

- وإين ذلك الحاجب المخلص؟

- سوف نمضى الآن إليه وسوف تراه.

ومضى الجميع إلى إحدى الغرفات المنعزلة فى البستان حيث التقوا هناك بشيخ ذى لحية بيضاء وشعر أبيض منسدل على الكتفين



ووجه مضئ مع ما به من تجاعيد وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامه حانية فقالت الأميرة:

- هذا هو الحاجب المخلص الذى ندين له بأرواحنا..

قال الحاجب:

- سامحك الله يا مولاتى، إنما أنتم أولياء نعمتى وأنا ربيب فضلكم وما كان لى أن أفعل غير ما فعلت..

قال ذلك ثم رَحَّب بالأمير وتعَّرف عليه وعَرف قصته.

قالت الأميرة:

- حتى بعد أن أنقذنا من الملك "المغوار" ما كنا نستطيع العيش بدونه فهو الذى ينظِّم لنا كل شئ هنا وهو الذى يربى أخى الصغير على الفروسية ويؤدبه بآداب الملوك وهو كل ما بقى لنا من الزمن الجميل والأهم من هذا أنه يبْذل كل ما فى وسعه لتقويض سلطان الملك "المغوار" وإعادة الكرامة لشعبنا المُستعبَد.

قال الأمير:

- إنى لا أعجب أشد العجب مما أسمع!



الحاجب: - نعم إيها الأمير، فما يحدث لنا أمر لا يصدقه عقل، بعد أن كُنا سادة البلاد وملوك الدنيا، وأصبحنا عبيداً وقد توسّد ملوكنا التراب بعد ما ذاقوا من مذابح شنيعة، وما بقى من ذويهم مشردين فى الأرض. رحم الله مولاى الملك "السمندل" لقد كان يخشى عاقبة مثل هذه وحذّر كثيراً من الفرقة والتمزق..

ثم صمت قليلاً وقال للأمير:

- بعد كل ما سمعت، أما زلت تصر على إكمال رحلتك؟!

- لقد ازددت إصراراً على إكمال المسير.

قالت الأميرة:

- إذن لتبق عندنا إياماً حتى نحتال لك فى أمر تدخل به إلى بلاد الجان دون أن يعلم بك أحد وتكون فى تلك الأيام قد استرحت من عناء الرحلة.

- لقد طوقتم عنقى بأفضالكم ايتها الأميرة.

- لا تقل ذلك أيها الأمير، فأنت من الأن بمنزلة أخ لى وستقيم معنا على الرحب والسعة حتى نتدبر الأمر.

قالت الأميرة ذلك ثم أنصرفت وبقى الأمير مع الحاجب وظل ينظر إليه صامتاً والحاجب ينظر إليه ويبتسم عندئذٍ سأله الأمير عن أسباب النصر كما يراها رجل مثله حنكته الأيام، فأجاب:

- أن تكون فارساً شجاعاً.

قالها وهو يطوى إحدى الرسائل ، فنظر إليه الأمير مندهشاً وقال:

- ظننت أني فارس شجاع!

كان الحاجب حينئذ يوليه ظهره وهو يمسك بشمعة يحاول إشعال فتيلها من أخرى أوشكت على الانتهاء، فأضاء الشمعة وثبتها فوق أحد الأحجار ثم أمسك بكأس ماء قدمه للأمير وهو يقول:

- أن تقهر مخاوفك فمتى قهرتها قهرت كل أعدائك، أن تنتصر على شهواتك فمتى انتصرت عليها لم يقم لك خصم..

قالها ثم صمتْ وصمت الأمير كذلك.

***

أقام الأمير "جعفر" فى قصر الأميرة "رمش العين" إياماً والجميع قائمون على خدمته حتى كان ذلك اليوم الذى جاءت فيه الأميرة بصحبة الحاجب وكان الأمير يداعب الأمير الصغير ويلاطفه فلما رآهما قام



وحياهما ثم جلس الجميع على آرائك وثيرة إلى جوار بحيرة صغيرة وقد هبّت عليهم رياح لطيفة محملة بعبق الأزهار.

قالت الأميرة:

- نرجو من الله أن تكون الإقامة عندنا قد طابت لك واسترحت.

- أفضالكم أكثر من أن يوفيها شكر يا سمو الأميرة، فقد انقذتم حياتى واكرمتمونى إكراماً زائداً. ولكنى استأذنكم فى الرحيل فأنا مُتعجّل فى أمرى فماذا رأيتم فى أمر سفرى إلى بلاد الجن؟!

نظرت الأميرة إلى الحاجب وأومأت له برأسها. فقال الحاجب:

- أيها الأمير، لقد أعددت لك كل شئ، لقد اشتريت لك أحمالاً من الملابس والعطور والخمور لملكة الجان ومنها ستركب أى سفينة مبحرة إلى بلاد الجان كتاجر للملابس والعطور وهناك تتدبر أمرك حسبما يتراءى لك!

ثم أوصاه بالسؤال عن بعض الرجال المخلصين للملك القديم لا زالوا يقيمون فى مملكة الجن.

قال الأمير:



- لا أدرى ماذا أقول لكم ولكنى أدعو الله أن يمكّننى من رد بعض أفضالكم يوماً.

الأميرة: - لا تقل ذلك أيها الأمير. وفى هذه الصناديق مائة ألف دينار لتستعين بها على أمرك هناك.

الأمير: - لقد طوقتم عنقى بإحسانكم. وأنا استأذنكم فى السفر اليوم.

**الأميرة: - أما تقيم عندنا أياماً أخرى!**

**الأمير: - حسبى ما أقمت معكم من أيام هنية ولعل الله يجمع بيننا مرة أخرى على خير فى بلادكِ وبلاد آبائك.**

ودَّعهم الأمير وسار ومعه الأحمال من الملابس والعطور وبعض الخدم والعبيد لحراستها وظل يسير نهاراً ويستريح ليلاً حتى وصل إلى المملكة التى وصفها له الحاجب ونزل بأحماله فى دار يقيم بها التجار الغرباء وظل فيها خمسة أيام حتى تجهّزت السفينة التى ستحمل البضائع إلى بلاد الجان وأنزلوا بضائعهم وكان الأمير قد ارتدى زىّ البحار وتعلم فنون البيع والشراء فاكترى له حميرا وبغالا حملت بضائعه إلى خان للتجار أقام فيه أياماً وهو يسأل عن حانوت، حتى أشترى له حانوتاً فسيحاً فى



وسط السوق فأعاد تنظيمه وزخرفة جدرانه وبنى له مصطبة عريضة ثم نقل أحماله ورتبها أحسن ترتيب ثم أمر غلمانه فَرَشُوا أمامه الماء وطَيَّبُوا هواءه بأطيب البخور ثم ذبحوا الذبائح وفرقوها على كل من أراد فبدأ الناس يتساءلون عن ذلك التاجر الغريب الذى جاء إلى السوق وانتشرت أخبار كرمه ومروءته وبدأ التجار يتوافدون إليه ليتعرفوا به فأكرمهم إكراماً جزيلاً وأهداهم هدايا عظيمة لم يروا مثلها من قبل. حتى وصل خبره إلى شهبندر التجار فأرسل إليه رسوله. فأجاب الأمير الرسول قائلاً "على الرأس والعين" ثم ارتدى أفخر ثيابه وتطيب من أطيب العطور ثم حمل معه حملاً من أفخر ما عنده من هدايا وتوجه إلى دار الشهبندر يسبقه غلام الشهبندر.

وصل الأمير إلى دار الشهبندر والذى كان قد استعد لوصوله أحسن استعداد، فألقى عليه الأمير التحية وقدم له الهدايا فلما رآها الشهبندر فرح بها فرحاً شديداً وشكره شكراً جزيلاً ودار بينهما حديث طويل تعارفا خلاله وسأل فيه الشهبندر الأمير من أى البلاد هو فأخبره بأنه تاجر وأبوه شهبندر التجار فى إحدى البلاد البعيدة وأنه كان الأبن الوحيد لأبيه وأن أباه قد خرج فى إحدى رحلات البحر فغرقت سفينته

وهلك من عليها وبلغه نبأ موت أبيه فحزن عليه حزناً شديداً وضاق صدره بتلك البلاد بعد أن فقد أنيسه الوحيد بها فباع كل ما يملك، واشترى سفناً وبضائع وظل يسافر من بلد إلى بلد علّه يجد فى الترحال عزاءً وتسلية حتى يجد بلاداً تكون فيها راحته حتى وصل إلى بلاد الجان.

قال الشهبندر:

- ستجد راحتك عندنا ولن تتركنا أبداً..

فشكره الأمير على كرم ضيافته.

ثم سأل الشهبندر الأمير إن كان قد أشترى له داراً فأخبره الأمير بأنه لم يفعل بعد فأخبره الشهبندر بأنه سيشترى له داراً أقرب إلى قصور الملوك والأمراء وأرسل يستقدم صاحبها وجاء الرجل فحياهم وجلس وعرض عليه الشهبندر الأمر فرحب الرجل وباع الدار للأمير فنقده الأمير ثمنها، ثم أمر الشهبندر بأن يُهّيأ الدار ليقيم فيها "جعفر" وتُعد أحسن إعداد وطلب من الأمير أن يقيم فى داره حتى يتم تجهيز الدار الجديدة فشكره الأمير وحاول أن يعتذر لكن الشهبندر الح فى ذلك حتى وافق الأمير.

أحب الناس ذلك التاجر الجديد لأمانته وحسن معاملته وكان أصحابه من التجار يأتون إلى داره كل ليلة يتسامرون عنده حتى أخر



الليل يتجاذبون أطراف الحديث عن البيع والشراء والأسفار ويحكى كل مهم حكايات عما مر به فى أسفاره بعضها صحيح وبعضها مكذوب لتسلية الوقت.

بعد انصراف الرفاق والندماء يتجه الأمير إلى فراشه ويظل مفكراً فى حاله وما عساه أن يفعل فها قد وطّدُ لنفسه مكاناً بين الناس فالجميع قد أحبه محبة عظيمة ولكن رحلته قد طالت ولابد له من حيلة يستنقذ بها الأميرة ثم تذكر الأمير بعضاً ممن أخبره عنهم الحاجب وأوصاه بزيارتهم وتدبُر الأمر معهم ووصف لهم إخلاصهم وتفانيهم فى حب ملوكهم السابقين قوم الملك السمندل، لذا قرر أن يتوجه إليهم ليطلب منهم العونَ والمشورة.

وفى الصباح بينما كان الأمير يجلس فى حانوته وغلمانه يرشون الماء ويبخرون المكان إذا بجَلَبة عالية ورأى الأمير الذعر أصاب من بالسوق وعلم من جيرانه أنه يوم من الأيام السود فها هم رجال ملك الجان الملك "المغوار" فى حشد من الجند يصلون إلى البلدة فى ذلك اليوم المشئوم، فقد اعتادوا بين الحين والحين أن يجوبوا البلاد ويجمعوا منها الأموال الباهظة ويأخذوا ما لذ لهم من نساء أو جواهر أو أى شئ يحلو فى



عيونهم ومن اعترض على ذلك سِيق إلى الميدان وَضُرِب عنقه أمام الناس حتى يكون عبره لغيره ومَن عجز عن دفع ما فرضوه عليه من مال سِيق أمامهم عبداً ليعمل فى بساتين الملوك والأمراء والقواد.

جلس الأمير يرقب ما يجرى حوله فها هى أمرأة تنتحب وقد قيدوا زوجها وساقوه مع العبيد وتحاول أن تُقَبِّل قدم الجندى ليترك زوجها فيدفعها الجندى بقدمه فى صدرها فتسقط مغشياً عليها وهذا آخر قد أخذوا ابنته الحسناء ووضعها أحد الجنود على فرسه ليَفرّ بها فخرج الأب حاملاً سيفه ولكنه لم يَصل إلى ذلك الجندى فقد استقر فى نحره سهمٌ أرداه قتيلاً وغير هؤلاء الكثير وبينما الأمير يرقب ذلك كله إذا به يحس بمن يدفعه فى كتفه فنظر الأمير وإذا بأحد الجنود يصيح به:

- أنت.

قال الأمير:

- أجل يا سيدى ماذا تريد؟!

نظر الجندى إلى رفاقه وضحك وقال:

- ماذا أريد !! ألا تدرى ماذا أريد؟!

ثم قطب جبينه وقال:



- نريد ما عليك من أموال أيها اللئيم!

- لست بلئيم يا سيدى، فأنا رجل ذو أصل عريق!

استشاط الجندى غضباً وقال: "بل لئيم" ثم رفع السوط ليهوى به عليه عندما كان الشهبندر قد وصل فاندفع مسرعاً وبيده صرة نقود كبيرة وقال:

- معذرة يا سيدى فهو غريب ولم يعرف بعد ما عليه. أتوسل إليك أن تصفح عنه!!

أخذ الجندى صُرّة النقود وقال للشهبندر:

- سأعفو عنه هذه المرة ولكن عليك أن تعلمه الأدب!!

استشاط الأمير غضباً وكاد يرد عليه لولا أن الشهبندر أغلق فمه بيده ودفعه بلطف إلى داخل الحانوت وهو يقول للجندي:

- أجل سافعل يا سيدى سأفعل..

انصرف الجندى لينضم إلى باقى عصابتهم اللعينة وكان الباقين قد حملوا صناديق المال والجواهر وغيرها وساقوا من شاءوا من جميلات البلدة ورجالها جوارى وعبيدا وقد خرجت خلفهم النساء تنتحبن والرجال



يصيحون والجنود يكيلون لهم الركلات بالأقدام ويلهبون أجسادهم بالسياط ثم انطلقوا مسرعين.

جلس شهبندر التجار مع الأمير داخل حانوته يهدئ من روعه..

الأمير: - كيف تتحملون كل هذا؟

الشهبندر: - وماذا بأيدينا يا بنى؟

- بأيديكم الكثير.

- وما ذاك الكثير؟

- لابد أن تتحركوا للدفاع عن كرامتكم وأعراضكم وأموالكم.

قال الشهبندر فى أسى:

- أنت لا تعلم شيئاً يا ولدى!

- لا أعلم ماذا ؟ أعلِمنى أنت بما لا أعلم.

- إن للملك المغوار ملك ملوك الجان وملوك الممالك السبعة لهم من الجند والقوة ما لا نطيقه يا بنى.

- مهما كانت قوتهم، موتوا دفاعاً عن أعراضكم وكرامتكم خيرٌ لكم من أن تعيشوا أذِلاء. ولكن يبدو أنكم استكنتم وَدبَّ فيكم العجز والهوان

قال الشهبندر وهو يبتسم فى مرارة:



- وَهَب أننا وقفنا فى الممالك السبعة وغيرها أمام جيوش الملوك ماذا نفعل مع الملك المغوار؟

- لا أفهم ماذا تقصد بـ "ماذا تفعلون مع الملك المغوار".

- إن للملك المغوار يا بنى علما عظيما بالسحر الأسود وقوة سحرية شيطانية لا يمكن القضاء عليها.

- بل هذا ما استطاعوا أن يغرسوه فى قلوبكم حتى لا تفكروا فى استرداد حقوقكم المسلوبة.

- ليس ذلك كما تقول يا بُنى، فقد ذهب أخى الأصغر ضحية ذلك!!

قالها الشهبندر وصمت بُرهة ومسح دمعة حارة انحدرت من عينيه ثم استطرد:

- لقد آذاه ما يرى من ذُل فثار مع الثائرين وكانوا كُثرة وبلغ الملك المغوار أن الناس يَشكُّون فى قدرته السحرية وإذا بالثائرين يُفاجأون بطائر عظيم بَشِع الخَلقة يهبط بينهم وعلى ظهره الملك المغوار الذى هبط وظل يمشى وسط المحتشدين ولا يعيرهم اهتماماً فحاول الثائرون الانقضاض عليه وإذا به يشير إلى الأرض بإصبعه ثم يرفعها إلى أعلى قليلاً فينطلق من الأرض خيط من نار يتضخم ليكون محارباً قوياً من



النار يحمل سيفاً ورمحاً من النار ثم أشار بيده ثانية وثالثة ورابعة وفى كل مرة يخرج من الأرض ذلك المحارب الجبار والناس يقفون فى ذهول ورُعب، ثم أشار الملك الى هؤلاء المحاربين فانطلقوا نحو الثائرين وقد سدد إليهم الثائرون الرماح والسهام ولكن دون جدوى حتى أمسك محاربو النار بالثائرين فدقّوا عظامهم وأحرقوا أشلائهم ونثروها فى كل مكان ثم أشار إليهم الملك فاختفوا ثم ركب طائره وعاد من حيث أتى. كل ذلك والناس قد فروا إلى بيوتهم يرقبون ذلك كله من وراء الأبواب ومنذ ذلك الوقت لم يجرؤ أحد على الثورة مرة أخرى.

الأمير: - لا أصدق ما أسمع.

- بل صّدق يا بنى. لقد رأيت ذلك بعينى، وفقدت فيه أخى كما قلت لك.

- فما الحل أذّن؟

- ها نحن ننتظر الفَرَج؟. أشِر علينا بما ترى أيها الفارس الثائر.

- لا أدرى ولكن...

لكن ماذا يا بُنى، لقد فعلنا كل ما نستطيع فعله، ولكنهم يضيقون علينا الخناق لقد منعونا حتى من عبادة إلهنا وإله آبائنا إله النبى



سليمان وفرضوا علينا عبادة النار وكل من خالف ذلك يتم تقديمه قرباناً للنار، كما تم طرد أصحاب المواهب والعلماء وأُحرقت الكتب وهُدمت دور العلم وَحُرِّم الاشتغال بالعلم أو التعلم.

صاح الأمير:

- أما لهذا الليل من نهاية؟

- ها نحن ننتظر موت الملك المغوار وساعتها قد نستطيع أو يستطيع أبناؤنا محاربة المعتدين وإجلاءهم عن أرضنا.

- وقد لا يستطيعون، ومن أدراكم أن من سيخلفه لن يكون على دراية بالسحر الأسود بل قد يكون شرًا منه، وكيف تطيقون مرارة العيش في جحيم هذا الذل إلى وقت لا تدرون أهو قريب أم بعيد ولعله لا يجئ؟!.

قال الشهبندر وقد حرّك الأمير شجونه:

- كُفّ عن تعذيبي يا بُني، يكفيني ما أنا فيه، لقد قُتِل أخي أمام عيني وأخِذت ابنتي الكبرى جارية لأحد الأمراء دون أن أملك لها شيئاً وماتت أمها كمداً عليها وصارت حياتي جحيماً وكدت أموت أنا أيضاً هماً لولا أبناءٌ لي صغار خشيت عليهم هموم الحياة وما يحيط بهم من وحوش، بل لقد هممت يوماً بقتل ابنتي الصغرى خوفاً عليها من مصير

كمصير أختها لولا خوفي من إلهى الذى لا زلت أعبده سِرّاً ورجائى أن يُذهِب عنّا ما نحن فيه من كمد لذلك كتمت همّى وأحزانى وحاولت أن أتناسى ما مر بى، حتى أتيت أنت لتفتح ما لم يندمل من جروحى بكلامك هذا.

قال الأمير وقد أخذته بالشهبندر الرأفة:

- لا تؤاخذنى ياعم، فما قصدت ذلك ولكن..

قاطعه الشهبندر وهو يمسح دمعته ويكتم لوعته:

- لا عليك يا بنى، قم الآن حتى نتناول طعامنا.

- أشكرك يا عم ولكن..

- لن أقبل عُذراً، فلا مفر من ذلك.

بعد أن تناول الأمير طعامه مع الشهبندر مضى إلى جار له من التجار فتحدث معه فى أمور كثيرة وفى وسط حديثه سأله بحكمة عن هؤلاء القوم الذين أوصاه الحاجب بالسؤال عنهم فأخبره التاجر بأنه لا يعرف من هؤلاء سوى رجل واحد فقط يملك حماماً فى أقصى البلدة.

خرج الأمير من عند التاجر متوجهاً صوب الحمام الذى وصفه له حتى وصل إليه وإذا به يرى على بابه رجلاً باشّ الوجه قصير القامة



أبيض اللون عظيم البطن. لما رآه الرجل قام إليه وحياه وهو يبتسم ثم دعاه لدخول الحمام فدخل الأمير وقام الرجل على خدمته بنفسه لِما رأى عليه من علامات النُبل وسيما الأصل العريق وفي أثناء تدليكه له سأله الأمير عما إذا كان يعرف حاجب الأمير خاقان. فتوقف الرجل فجأة وقال:

- من ؟!! لا أعرف أحد بالاسم والوصف الذى تقوله، ربما كان كما تقول، ولكن حمامى كما ترى بعيدٌ عن قصور الملوك والأمراء فلا يطرقه الأمير ولا خاصته، ثم إن الأمير السابق قد مات مع كل رجاله.

**الأمير: - إلا الحاجب والأمير والأميرة "رمش العين" والأمير الصغير!!**

**ازداد الرجل دهشة وارتياباً ولكنه تظاهر بالجهل وقال:**

**- قلتِ لك لا أعرف عنهم شيئاً، ثم ما شأنى أنا بهذا الأمر، لا أعرف إلا فى شئون حمامى.**

**- لقد أرسلنى هو إليك.**

**قال الرجل فى ضيق:**

**- ها أنا قد أنتهيت من عملى فأنصرف الآن من حمامى مصحوباً** بالسلامة وأنصحك ألا تعود إليه مرة أخرى فهذا حمام لا يليق بمقامك فأنت رجل كما يبدو ذو صلة بالملوك والأمراء.



- قلت لك لقد أرسلنى هو إليك.

- وأنا قلت لك إنى لا أعرف أحداً بهذا الأسم أو هذا الوصف.

- لماذا إذن أرسلنى إليك وأخبرنى باسمك؟!

- من هذا الذى أخبرك وبماذا أخبرك وأين أخبرك؟

أدرك الأمير أن الرجل يخشى من افتضاح أمره ويظن أن هذه قد تكون حيلة للايقاع به من جنود الملك المغوار. لذلك حكى له حكايته برفق وأخبره بجميع ما جرى له مع الحاجب والأميرة والأمير الصغير. عندئذٍ قال له الرجل:

- معذرة يا بنى ولكنك تعلم خطورة ما قلت وما كان لى أن أصدّق كل من جاء يسألنى عنهم وأخبره بخبرهم.

- لا بأس بذلك فكل ما فعلت ضرورى وصواب.

وبعد أن نشفّه صاحب الحمام وطيبه وساعده فى ارتداء ملابسه صحبه إلى بيته حيث استراحا قليلاً وتناولا بعض ثمار الفاكهة ثم قام معه بعد ذلك ومضى به إلى حيث يلتقى بالآخرين الذين سأل عنهم.



وفى دار أحدهم وكان تاجراً من تجار الذهب جلسوا يتحدثون بعد أن تعارفوا جيداً فأعاد عليهم الأمير ما قد سمع من الشهبندر فأخبروه بأن ذلك كله صحيح،

قال الأمير: - أهذا يعنى أنه ما من حلّ؟

قال صاحب الحمام: - بل هناك حل ولكنه أشبه بالمستحيل.

الأمير: - وما هو ذلك الحل؟

صاحب الحمام: - منذ سنوات مضت كان هناك عراف يجوب البلاد مخبراً أهلها أن هلاك الملك "المغوار" والقضاء على سحره لن يكون إلا بدبوس "أفريدوس" وما كاد الملك "المغوار" يعلم بخبر العرّاف حتى قبض عليه وقطع رأسه وطافوا بها فى كل البلاد وتوعّدوا بهذا العقاب كل من سوّلت له نفسه أن يكرر تلك الرواية.

- وما هو دبوس أفريدوس" هذا؟

- لا ندرى، ولكن العرّاف قال إنه فى جبل السحاب فى مكان ما استطاع أن يصل إليه أحد إلا ندرة قليلة وما عاد ممن وصل إليه أحد ولكن مع كل هذا ذهب بعض الثائرين والمغامرين ولكن لم يعد منهم أحد

- سأذهب أنا فى هذه المرة.



- كيف وأنا أقول لك ما عاد منهم أحد؟

- ما من طريق آخر، فموتي أهون عندى مما أقاسى من فجيعة الفراق ومما أرى من مرارة الذل.

- ولكن..

- لقد عزمت على ذلك ولن يثنينى عن عزمى شئ.

- بأى شئ إذن ستعلل للخروج من البلاد الآن؟

- سأقوم بتجهيز سفينة كبيرة أُحملها بالبضائع وبعضاً من رجالى المخلصين وأزعم أنى ذاهب للتجارة ثم أبحر فى الاتجاه الذى ستحددونه لى ولكنى أريد قائداً أمينا يقود السفينة.

قال أحدهم: - أنا استطيع ذلك، وعندى مخطوطات قديمة بها رسوم واوصاف للاتجاهات والطرق قد تساعدنا فى رحلتنا كثيراً.

قال الأمير: - حسناً حسنا وبعد يومين سنبحر بمشيئة الله.

وبعد يومين كان الأمير قد أعدَّ عدته وودّع أصحابه والشهبندر الذى أحبه محبة عظيمة واعتبره فى منزلة أبيه حتى أن دموعه قد سالت عندما ودّعه ثم أبحرت السفينة مخترقة بحر الضباب ومرت عليهم أيام طوال دون أن تلوح لهم فى وسط الماء جزيرة.



وفى إحدى الليالى المقمرة بينما كانت السفينة تنساب على صفحة الماء فى هدوء كان الأمير على سطحها يجلس ناظراً إلى القمر مفكراً فى كل ما مرّ به بدءاً من أيام لهوه وفراغه مروراً بسفره إلى حفل الزفاف ورؤيته للأميرة "قمر" وما مر به بعد اختطافها من حوادث وأهوال ما كان ليصدقها لولا أن رآها بعينه وعايشها بجسده. وبينما الأمير ينظر إلى القمر مفكراً فيما مرّ به إذا به يسمع صوتاً يستغيث فيهب هو ورجاله وينظروا فى البحر وإذا بهم يرون قطعة خشب سابحة وعليها فتاة تسلب الأفئدة وتسحر العقول فتعلقت بها العيون وكان عليها ثوبٌ قد تمزق بشدة ليظهر بعضاً من جسدها إستغاثت بهم فالقوا إليها حبلاً واستنقذوها منَ الغرق وأقبل الأمير عليها فأخذه جمالها فوقف يرمقها برهة ثم استفاق وأمر رجاله أن يكسوها بسرعة ويطعموها ويدعوها تستريح فشكرته الفتاة ومضت فاكتست وأكلت وشربت ونامت حتى الصباح..

وفى الصباح أقبلت على الأمير فأوسع لها فى المجلس ودعاها للجلوس فجلست وهو يرمقها لبعض الوقت ويعجب لشدة جمالها ثم تذكرّ محبوبته فغض طرفه عنها وسألها عن حكايتها وما الذى رمى بها فى هذا البحر فأخبرته بأنها كانت على ظهر سفينة عظيمة مع زوجها



الذى كانت تحبه محبة عظيمة ولم يمضِ على زواجهم سوى أيام وهو من بلادٍ غير بلادها وبعد الزواج كانا عائدين إلى بلاد الزوج على السفينة وتحطمت السفينة ولم تشعر بشئ إلا وهى على ظهر القطعة الخشبية التى رأوها عليها أما عن زوجها فهى لا تدرى إن كان قد نجا أم لا وإنها لترجو أن يكون قد نجا.

قال لها الأمير:

- حمداً لله الذى نجاك

فشكرته الحسناء ثم سألته عن نفسه وعن سفينته هذه فخاف أن يبوح لها بحقيقة أمره فقال لها إنه تاجر وقد خرج بسفينته هذه للتجارة فرآها تنظر إليه وتبتسم ابتسامات غريبة ثم قالت:

- قلبى يقول لى أن الأمر ليس كذلك!!

نظر إليها الأمير طويلاً والدهشة تملؤه ثم قال لنفسه "وأنا قلبى يقول لى أنكِ أهل لكتمان سرّى" عندئذٍ أحس بالراحة وقال لها:

- نعم إن لى حكاية طويلة سأحكيها لكِ..

وحكى لها حكايته حتى فرغ منها وبعد انتهائه من الحكاية استأذن عليه أحد الرجال فأذن له الأمير فجاء الرجل وجلس إلى جوار



الأمير وأخذ يديم النظر إلى الفتاة الجميلة فسأله الأمير عما يريد فقال الرجل إنه يريد الزواج من هذه الحسناء فنظر الأمير إليها فهزت رأسها معلنةً عن رفضها فسألها الرجل عن سبب الرفض فقالت لهم أنها ما زالت تحب زوجها وتأمل أن تراه يوماً بين الأحياء، فأستأذن الرجل وأنصرف.

تحدّث الأمير مع الحسناء بعض الوقت ثم قام لتصريف شئونه وعندما حلّ المساء ذهب الأمير إلى غرفته بالسفينة حتى يستريح من عناء اليوم وما كاد يضع رأسه على الوسادة حتى تذكر محبوبته فجاشت خواطره ودمعت عيناه وفجأه أفاق من شروده على صرخة عالية فجرىَ مسرعاً إلى خارج غرفته فسمع الصرخات من غرفة الفتاة الحسناء فاتجه نحوها مجرداً سيفه ودخل ليرى ذلك الرجل الذى جاءه خاطباً لها وقد اقتحم عليها غرفتها وروادها عن نفسها فدفعته عنها وصرخت وكان يحمل سيفه ويهددها فدفعه الأمير بعيداً وقال للفتاة:

- أطمئنى، لا بأس عليكِ..

ثم اتجه ناحية الرجل الذى أقبل مجرداً سيفه وقد اتقدت النار فى داخله وأعمت الشهوة عينيه ودارت بينهما مبارزة حسمها الأمير بسرعة



حين تمكن من الرجل وقيده ونادى رجاله وأمرهم بسجنه ثم عاد إلى الفتاة يطمئنها مرة أخرى ويعدها أن هذا لن يتكرر مرة أخرى ثم عاد إلى سريره وظل يفكر فترة من الزمن حتى غلبه النعاس فنام.

وفى الصباح استيقظ الأمير وخرج إلى ظهر السفينة وأقبل عليه أحد الغلمان بالطعام فسأل الأمير عن الفتاة فقالوا له أنها لم تستيقظ بعد فأرسل إليها الأمير من يسأل عن حالها وكيف باتت ليلتها بعد ما حدث فذهب الخادم ثم عاد مسرعاً وقال:

- لقد اختفت الفتاة يا سيدى!!

قال الأمير فى دهشة:

- ماذا؟! كيف اختفت ومتى؟

ثم أمرهم بالبحث عنها فى كل مكان على السفينة وأن يستوثقوا من أن الرجل الذى هاجمها بالأمس لا زال فى سجنه. فبحث الرجال عنها فى كل مكان فلم يجدوها ووجدوا الرجل فى سجنه.

تعجب الأمير لذلك غاية العجب ولكنه لم يجد أمامه سوى أن يتناسى الأمر ويكمل رحلته فأمر الرجال بمواصلة الإبحار وبعد يوم وليلة من الإبحار تعالى الموج واشتد قصف الريح وأمطرت السماء مطراً غزيراً



واشتدت ضربات الموج للسفينة حتى حطمتها، أما عن الأمير فقد عجز عن عمل شئ لانقاذ السفينة حتى سقط فى الماء وغاب عن الوعى.

استفاق الأمير ليجد نفسه على أرض منبسطة يكسوها العشب الأخضر ونظر حوله فرأى فتيات كأنهن الأقمار فأمعن النظر فيهن حتى وقع بصره بينهن على فتاة كالشمس المضيئة وزاد نظره إمعاناً ليرى فيها شبهاً عظيماً بتلك البائسة التى استنقذها من الغرق بل إنها هى فتبسمت له وقالت هى له:

- حمداً لله على سلامتك!

لم يستطع الرد إذ عقد الذهول لسانه فقالت له بصوت ناعم عذب:

- لقد نجاك الله من الغرق!

قال الأمير وهو يلتفت حوله:

- يبدو لى أن الفضل فى ذلك يعود إليكن..

قالت الفتاة التى استنقذها:

- لقد أنقذت حياتى أولاً أم تراك نسيت ذلك؟

ثم ضحكت ونظرت إلى الحِسان اللائى يقفن حولها فضحكن معها وهو يتغامزن.

قال الأمير:

- ولكن أين أنا؟!! ومن أنتن؟!

- سنخبرك بكل شئ ولكن بعد أن تستريح أم نسيت أنك لم تسألنى عن شئ حتى ألبستنى وأطعمتنى واسترحت أيضاً

وافق الأمير وسار معهن فى تلك البساتين العامرة بين الأشجار المورقة والمياة الجارية والطيور المغرّدة حتى وصلوا إلى نافورة تدفع الماء كسلاسل الفضة وإلى جوارها قبة بديعة المنظر من الذهب الأصفر حتى أصبحت فتنة للناظرين فدخلن ومعهن الأمير إلى تلك القبة فرأى فيها الأمير من الفُرش والزخرف ما يُعجزُ الواصفون لجماله وروعته فاشارت إحداهن إلى سرير بديع يتوسط القبة وقالت له:

- هذا هو السرير، والآن ستأكل ثم تخلد إلى النوم وبعد أن تستيقظ ستعرف كل ما تريْد!

كل ذلك والأمير لا يصدق ما يرى ظاناً أنه فى حلم أو لعله مات فى غرفة وجيء به إلى الجنة..

انصرفت الفتيات وأقبل الأمير على الطعام فأكل حتى شبع ثم استقلى على السرير الجميل الذى ما رأى أنعم ولا أجمل منه قط وهبّت



عليه نسمات رقيقة محملة بعبق الأزهار فارتخى جسمه وغطَّ فى نوم عميق.

وبعد ساعات طوال استيقظ الأمير من نومه وفتح عينيه ليرى الفتيات الجميلات وقد اصطففن حول سريره مبتسمات وقالت له الفتاة التى قابلها فى سفينته:

- هل نمت نومة مريحة؟

قال الأمير وهو ينهض:

- ما نمت نومة أهنأ ولا أجمل من هذه.

- حمداً لله، والآن هيا أنهض حتى نتناول الطعام معاً ثم نتحدث فيما تريد سماعه.

قام الأمير معهن وتناول الطعام وسألهن فى أثناء تناوله للطعام عن هذا المكان وعنهن وعن كل ما رأى، فقلن له: "أصبر حتى تفرغ من الطعام" فصبر حتى فرغ من الطعام ثم جلس الجميع يتناولون الفاكهة وقدَّمن له خمراً معتقة فشكرهن ورفض الشراب ثم أعاد عليهن أسئلته فقالت له الفتاة التى يعرفها:



- أنت هنا فى جزيرة الزهور ونحن فراشات النور نعيش هنا والبحر الذى كنت تبحر فيه هو بحر المهالك ما وصلت إليه سفينة إلا حطمتها الريح والأمواج العاتية. فكنا نطير هناك وإذا رأينا سفينة من بعيد قامت إحدانا لتلهو فتتظاهر بالغرق كما فعلت أنا معكم لترى ما يصنع البحّارة معها وفى كل مرة كانت تخبرهم بما أخبرتكم أنا به، وفى كل مرة كان قائد السفينة يطمع فيها ويحاول أن يجبرها لتسلم له نفسها فكنا نطير إلى هناك ونحطم السفينة حتى قبل وصولها إلى بحر المهالك أما عنّى أنا فلما رأيت إحسانكم لى تركتكم دون أن أؤذيكم، لكنى لم استطع أن أحمى سفينتكم من الغرق فى بحر المهالك، كل ما استطعت فعله هو أن أحملك أنت وأطير بك إلى هنا!

تعجب الأمير لذلك أشد العجب وشكر لها حسن صنيعها وقال لها مازحاً:

- لقد صدَّقت فعلاً الحكاية التى حكيتها لى على السفينة، يالى من أبله.

- بل هذا من نقاء قلبك وصفاء سريرتك!

ثم ضحك الجميع وقالت هي:



- الآن بعدما رأيت من حبك الشديد لمحبوبتك وصونك نفسك عن غيرها وفاءً لعهدها سوف أساعدك فيما خرجت من أجله!

- كيف ذلك؟

الفراشة:

- سنوصلك إلى جبل السحاب!!

قال الأمير في سعادة غامرة:

- حقاً؟!!

- نعم. والآن إذا شئت.

- وكيف تستطيعين ذلك؟!

- لا تسأل عن ذلك، سنوصلك إلى هناك ولكننا لن نستطيع أن نفعل لك شيئاً آخر.

الأمير- في دهشة -: - ماذا تعني بشيئاً آخر؟!.

- أنت تريد دبوس أفريدوس وهو موجود في مقابر العماليق وكل ما سنفعله نحن أننا سننقلك إلى جبل السحاب وعليك أن تبحث بنفسك عن المقبرة وتحضر الدبوس.

- حسناً وإني ممتن لذلك كثيراً.



- لا داعى لشكرنا ونحن ندعو الله أن يوفقك وتحصل على الدبوس فقوته طاغية ولكن عليك أن تتذكر أمراً هاماً.

- ما هو؟!

- هذا الدبوس له قوة خارقة ولكنه لن يجديك شيئاً إذا لم تجعل معه قوة أخرى أضعاف قوته. تلك القوة هى قوة جنانك ورباطة جأشك وإقدامك لو أنك هبت الملك المغوار أو فزعت مما سترى منه فستهلك نفسك وتهلك من تبتغى لهم النجاة.

شكرهن الأمير ثم قال:

- والآن هلاّ تفضلتن بنقلى إلى جَبل السحاب؟!

- سأنقلك الآن إلى هناك فى غمض عين!

- حسناً. هيا!

- انتظر لا تتعجل!!

قالتها ثم أخرجت له زجاجة صغيرة وقالت له: - خذ هذه.

قال الأمير: - وما هذه؟

- هذه زجاجة بها مسحوق فضى مسحور، إذا كتب الله لك التوفيق وحصلت على دبوس أفريدوس فستحتاج إلى وسيلة كى تعود



سريعاً إلى بلاد الجن. كل ما عليك فعله عندئذٍ هو أن تقف على شاطئ البحر وترش ذلك المسحوق وتتمتم بالتعويذة التى سأقولها لك...

ثم قالت له التعويذة فحفظها وأخذ منها الزجاجة وخبأها جيداً ثم قالت له الفراشة:

- والآن أغمض عينيك..

فأغمض عينيه فقالت هي:

- يا معين السائلين..

فأحس الأمير بلفحة برد شديدة تصيب وجهه ففتح عينيه ليرى نفسه على شاطئ بحر فنظر خلفه ليرى جبالاً شامخة فى السماء تكاتف السحاب حول قممها فأدرك أنه قد وصل إلى جبل السحاب فاتجه نحو هذه الجبال فرأى بينها طريقاً فسلكه وظل يسير فيه ساعات طوال حتى أدركه التعب فقرر أن يجلس ليستريح قليلاً فجلس على صخرة كبيرة أمام كهف فى بطن أحد الجبال واتكأ على ذلك الجبل قليلاً وإذا به يسمع صوتاً يقول:

- مرحباً أيها الأمير!



نظر الأمير في فزع إلى باب الكهف ليرى شيئاً له قامة كقامة الإنسان يقف على باب الكهف وعليه عباءة من الشعر وعلى رأسه غطاء من الشعر لا يُظهر حتى وجهه. قطع ذلك المجهول ذهول الأمير بقوله:

- لا تخف يا أمير "جعفر".

قال الأمير متعجباً: - أوَتعرف أسمي أيضاً؟

- وانتظرك منذ زمن طويل!!

- تنتظرني أنا !! لماذا ؟!

قال المجهول:

- لأني قَدرُك. وأنا هنا لمساعدتك حتى تحضر دبوس "افريدوس"!

- وتعرف أيضا لماذا جئت؟!

- قلت لك إني قدرك وأنا هنا لمساعدتك، هيا لنكمل المسير!

ظل الأمير جالساً في سكون يفكر في الأمر لبرهة فقال له رفيقه المجهول:

- هل تخاف مني، وما الذي يخيفك، أتخشى أن أؤذيك. لن أفعل إذا كنت أرغب في إيذائك فما الذي يمنعني من ذلك الآن. واعلم جيداً أنك لن تصل إلى المقبرة بدوني وستهلك بين الجبال والبرد الشديد.

فكَّر الأمير قليلاً ثم رأى أنه لا حلول أخرى فقام وسار خلف رفيقه المجهول وهو يمعن النظر فيه علّه يرى من جسمه شيئاً لكن دون جدوى حتى إذا اشتدت الريح حولهم لا تكشف منه شئ.

تعرّض الأمير فى سيره لمخاطر كثيرة دفعها عنه ذلك الرفيق المجهول ورأى فى سيرة العجب العجاب. من ذلك أن هناك ثعبانا عظيما حاول أن يفتك بهما ولكنه ما كاد يصل إليهما حتى احترق واصبح قطعةَ من الفحم حتى دون أن ينظر إليه ذلك الرفيق، كل ما فعله هو أن قال للأمير:

- أترى ذلك الثعبان!

فنظر الأمير ليرى الثعبان يحترق، ومن ذلك أيضاً أنهم وفى أثناءَ سيرهم انحرف الرفيق المجهول عن الطريق المتسع وسلك طريقاً ضيقاً وَعِراً بين الصخور وطلب من الأمير أن يسير وراءه ففعل الأمير وهو مندهش لذلك وبعد مسافة قليلة عادا إلى الطريق الأول فسأل الأمير عن سبب ذلك فقال الرفيق "أنظر خلفك" فنظر الأمير خلفه فرأى صخرة تهوى من على الجبل إلى الطريق وإذا بالطريق يسقط أمام الصخرة وتنكشف لناظرى الأمير بئر عميقة كانت تتوسط الطريق وتختفى عن الانظار بغطاء خفيف. فتعجب الأمير من ذلك وتساءل فى نفسه عمن

صنع هذه البئر وكيف عرفها رفيقة المجهول ولكنه لم يجرؤ على أن يسأل رفيقه هذه الأسئلة لأنه حذّره من كثرة الأسئلة، ثم أكملوا السير والرفيق المجهول يتخلص من كل خطر والأمير متحير بين الامتنان لذلك الرفيق والخوف والرهبة منه، ومما زاد خوفه من رفيقة أنهما ما مرا على زهرة فى الأرض إلا ذبُلت بعد مرورهما عليها وما طار فوقهما طائرا صغيراً كان أو كبيراً إلا سقط على الأرض متفحماً، ولا مرا على حيوان من الجبال والثلوج إلا ولّى هارباً وقد رأى الأمير الذعر بادياً فى عينيه، لكن الأمير لم يجرؤ على النطق بشئ فليس أمامه سوى السير، وظلا يسيران حتى وصلا إلى أسوار عالية دارا حولها قليلاً حتى رأيا باباً مفتوحاً فتوقف الرفيق المجهول وقال للأمير:

- والآن تقدّم يا أمير وتذكّر أن هذا الباب مسحور وأنك إذا كنت تنتوى استعمال الدبوس فى أمر من أمور الشر فسوف تحترق على الباب وإياك أن تفكر فى سرقة شئ من كنوز العماليق وذلك سيتوقف على نيتك مهما تظاهرت بشئ، والأن تقدم ولا تتردد..

تمالك الأمير شجاعته وتقدم.. عبر الأمير ولم يحدث له شئ فحمد الله على ذلك وبعد عبور الباب سمع صوت رفيقه المجهول يهنأه بسلامته ويقول له:

– سر في الطريق الذى تراه أمامك وسينتهى بك إلى سلم حجرى أصعد عليه وعندها ستشرف على المقبرة، سر إلى داخلها نحو أكبر القبور أحفر أمامه عندها ستجد سُدّة من الحديد، أرفعها وسترى سلماً من الصخر، أهبط عليه وعندما تصل إلى نهايته سترى بعينيك كنوز العماليق وأحذرك مرى أخرى أن تمد إليها يدك، كل ما عليك فعله هو أن تحضر الدبوس الذى ستجده معلقاً فوق تابوت عظيم من المرمر.

استمع الأمير إلى كلامه ووعاه جيداً ثم سار كما أمره رفيقه حتى وصل إلى أعظم القبور ونبش التراب أمامه فرأى السُدّة، رفعها ونزل إلى أسفل وما كاد يصل إلى نهاية السلّم حتى أذهله ما يرى فقد رأى تماثيل عظيمة من الحجر وأجساداً محنطة لعمالقة عظام ورأى من كنوز الذهب والدر والياقوت وغيرها ما لايوصف بلسان.

ظل الأمير سائراً حتى رأى تابوت المرمر ونظر فوقه فرأى دبوساً فى حجم الرمح فصعد على التابوت وحمل الدبّوس وعاد مسرعاً وصعد



السلم وأعاد الغطاء كما كان وغطاه بالتراب وسار فى طريقة التى أتى منها حتى وصل إلى الباب فرأى رفيقه ينتظر خارج الباب ولما رآه رفيقه المجهول هنأه سلامة الوصول فشكره الأمير وهو يجتاز الباب.

ما كاد الأمير يخطو خارج الباب حتى أحس بقوة عظيمة تدفعه فيسقط أرضاً ويسقط الدبوس من يده ويتدحرج إلى أسفل.

ما كاد الأمير يعى ما حوله حتى أذهله ما رأى فقد رأى الدبوس يطير فى الهواء متجهاً صوب رفيقه الذى ما عاد مجهولاً. لقد طارت عباءته فى الهواء ولم يكن رجلاً كما توهّم الأمير. لقد كان هيكلاً عظيماً لا يشبه حتى هياكل البشر.

كاد الأمير يُصعق لما يرى. كيف حدث كل هذا. هيكل من عظام يتكلم ويمشى ويحس بالخطر ويتخلص منه ويأتى بالمعجزات.

قال الهيكل للأمير:

– والآن شكراً لك أيها الأمير. فكما قلت لك أنا أنتظرك من زمن طويل. فما كنت أستطيع أن أدخل المقبرة وإلا احترقت. فقد كان العماليق أعدى أعدائى وقد فعلوا كل ما يستطيعون ليحولا بينى وبين

مقبرتهم. ولكنهم فعلتها والآن سأكافئك. أتدرى بماذا سأكافئك؟ سأريحك من عناء العودة ومشقة الطريق. سأقتلك!

وضحك ضحكة مجلجلة اهتز لها المكان ثم حمل الدبوس لأعلى وصوبه نحو الأمير. فأغمض الأمير عينيه واستسلم لقضائه ولكنه فوجئ بصوت عظيم يهز المكان ففتح الأمير عينيه ونظر فلم يرَ الهيكل العظمى ورأى فى مكانه كومة من الرماد وإلى جوارها الدبوس.

لم يستطع الأمير تفسير ما رأى فما مر به من أهوال جعله يتغاضى عن عجائب كثيرة. كل ما فعله هو أنه توجه ناحية الدبوس وحمله وعاد من نفس طريق المجئ وفى طريقه بدأ يفكر. فأرشده تفكيره إلى أنه ربما كان العماليق قد احتاطوا للأمر وامتد سرّهم وسحرهم إلى خارج المقبرة وامتدت اللعنة إلى ذلك اللعين من الدبوس خارج المقبرة.

ظل الأمير سائراً حتى وصل إلى شاطئ البحر وهناك أخرج الزجاجة وصب المسحوق الفضى على كفه ثم نثره على صفحة الماء وهو يتمتم بالتعويذة التى علمتها له فراشة النور. وإذا بضوء شديد يجتاحه فيغمض عينيه ثم يفتحها ليجد نفسه فى داره ببلاد الجن وقد تملّك منه التعب والإعياء فألقى بنفسه فى الفراش وغطّ فى نوم عميق.

استيقظ الأمير وخرج من داره متوجهاً إلى السوق، وفى طريقه رأى الحزن يكسو الوجوه وكلما سأل أحداً عن سبب ذلك الحزن لم يجب مجيب فبدا له أن الجميع قد فقدوا حتى الرغبة فى الكلام، حتى وصل إلى حانوته وهناك رأى حانوته مغلقاً فلم يفهم لذلك سبباً فمضى إلى حمام صديقه الذى ما كاد يراه حتى أسرع بإدخاله إلى داخل الحمام فسأله الأمير عما رأى على وجه الناس فأخبره صاحبه بأنهم بعد سفره أخذوا يوقظون همم الناس ويذكرونهم بأن أحدهم لا يساوى شيئاً إذا سُلِب كرامته وعرضه، ولما كان الخَناق قد اشتد حول رقاب الناس ومزقت سياط الذل ظهورهم ونياط قلوبهم لم يجدوا هنالك أثمن من الحرية فقرروا أن يضحوا فى سبيلها بكل شئ وكان الحاجب الذى قابله الأمير من قبل قد راسَل رجاله فى كل مكان فقاموا بتنظيم الصفوف وثارت ثائرة الناس فى كلّ مكان وهاجموا الجنود المعتدين وطاردوهم فبلغت أنباء ذلك اسماع الملك المغوار.

قال الأمير:

- فأرسل تماثيله النارية تحارب الثائرين؟



صاحب الحمام: - كلا بل جاءت جيوشه الجرارة من الغزاة والمرتزقة. جاءت جيوش بعدد حبّات الرمال فقبضوا على خلق كثير صلبوهم وقطعوا أوصالهم أمام أهلهم وذويهم.

الأمير - والمرارة تعتصر قلبه -:

- فاستكان الباقون واستيأسوا.

هبّ صاب الحمام صائحاً:

- لا، فرغم أنه لا يَخلو بيت من حُزن وفجيعة، إلا أن الناس قد جعلوا من دماء من سبقوهم قنديلاً يضئ لهم طريق الحرية وما تراه الآن من سكون سينجلى عنه الغد بعواصف ستقتلع جذور المحتلين بمشيئة الله..

تهللتْ أسارير الأمير وقال:

- بعد كل هذا الصمت أدركوا معنى الحرية، لقد أثلجت صدرى يا صاحبى، وسأثلج أنا صدرك أيضاً.

قال صاحب الحمام:



- ماذا وراءك؟ لقد أحضرت الدبوس، أليس كذلك؟ لا تؤاخذني يا صاحبي لقد أنساني ما مر بنا من أهوال أن أسألك عن خبرك وأهنئك بسلامة الوصول.

شكره الأمير وقص عليه كل ما حدث.

وبعد أن أنهى حكايته قال الأمير:

- والآن اتركك لأزور الرجل الطيب شهبندر التجار.

أطرق صاحب الحمام وقال:

- تزور من؟!!..

قال الأمير في دهشة:

- شهبندر التجار!!

قال صاحب الحمام في أسى:

- لقد صلبوه مع من صلبوا فقد جعل ماله وقوداً للثورة.

فَخَرَّ الأمير على مقعده وقد ألجمه الخبر، فقال صاحبه:

- لا تحزن عليه، لقد مات شريفاً كأفضل ما يموت الرجال، ونحن فخورون به ولسنا محزونين لأجله.

اغرورقت عيني الأمير بالدموع وقال:



- لقد قاسى هذا الرجل كثيراً وعاش حياة مليئة بالآلام. لقد أحببت هذا الرجل كثيراً وتمنيت لو أنى فعلت له شيئاً..

- تستطيع أن تفعل. يمكنك أن تحقق له ما كان يصبو إليه من نصر وتساعد قومه كى يستردوا كرامتهم وحريتهم المسلوبة وتنتقم من قاتليه..

قام الأمير من مقعده وهو يجفف دموعه ويقول:

- سأفعل. وغداً لناظرة قريب.

وفى الصباح الباكر كان الأمير يرتدى آله الحرب ويعد نفسه لذلك اللقاء الحاسم ويحمل معه دبوس أفريدوس وتذكر كلمات فراشة النوّر التى أوصته فيها بأن يتحلى بقوة أعظم من قوة الدبوس وهى اليقين وقوة الجَنان. ظلت تلك الكلمات تُدَوِّى فى مسامعة حتى سمع الصياح والهتاف فى الطرقات فخرج حاملاً الدبوس فى يده وقد غطّاه بقماش أسود وسار وسط صفوف الناس الذين احتشدوا ينادون بحريتهم وكرامتهم كبيرهم وصغيرهم رجالهم ونسائهم وجاءت جيوش الملك تتصدى لهم بجحافلها الجرارة عندئذٍ تخاذل الكثير من التجار وعِلية القوم والذين كانوا ينتوون إمداد الثائرين بالسلاح ولكن ذلك لم يمنع الثائرين من

القتال بكل شئ بالسيوف بالأحجار، بقطع الخشب، بأى شئ وبكل شئ تصدت لهم الجيوش وقتلت منهم الكثير ولكن الطوفان ظل يزحف وتقهقرت جيوش الملك، وهنا انشق الأفق عن طائر عجيب ظل يطير حتى هبط على الأرض ونزل من عليه رجل تنطق عينيه بالقسوة والجبروت وهو الملك المغوار، عندئذٍ تشجع رجاله واستجمعوا قواهم كى يحصدوا الثائرين بعد أن يمارس سيدهم ألاعيبه السحرية وبدأ الملك يستنبت المحاربين الجهنميين من الأرض والذين انطلقوا يقتلون ويدمرون.

فى تلك اللحظة كان الأمير يقف على مرتفع من الأرض فصاح:

- أيها الساحر الشيطان...

التفت إليه الملك محنقاً ليصب عليه جمام غضبه ورفع يده ليسقط عليه كرة من النار، لكن الأمير لم يمهله فقد رفع الغطاء عن الدبوّس وحمله عالياً فى الهواء فانطّلق منه ضوء قوى أحرق جنود الملك الناريين اللذين استنبتهم بسحره كما أحرق الضوء يد الملك المغوار اليمنى وأحرق طائره الذى كان يطير به ثم اختفى الدبوس.

رأى الملك "المغوار" ما حلّ به فصاح برجاله:



- هيا يا رجال ملك النار تقدموا قاتلوا عن أرواحكم اليوم لا عن مَلككم، لا يغرنكم ما رأيتم منهم فهم أجبن من أن يصمدوا لجحافلكم الجبارة..

قال الملك المغوار ذلك فالتحمت جيوشه بجموع الثائرين على حين راح هو يتقهقر ويتخفى كى يستطيع الهرب فانطلق الأمير فى أعقابه حتى دخل إلى قصره الكبير ودخل الأمير وراءه على حين كان حُرَّاس القصر منشغلين بقتال بعض المهاجمين من الثوار، ومع دخول القصر فقد الأمير أثر الملك المغوار فظل يبحث عنه فى كل أنحاء القصر حتى رأى ممراً جميلاً زُيِّنت جدرانه بالنقوش البديعة فسار فيه حتى نهايته فرأى باباً فتحه فرأى عجباً، لقد رأى بستاناً مترامى الأطراف فيه من كل ألوان الشجر والزهر الجميل وفى وسط هذا المرج تتدفق المياة وتجرى فى ممرات جميلة تزيد المنظر بهاءاً وفتنة وفى وسط ذلك البستان الساحر رأى الأمير ما هو أكثر سحراً رأى أقفاصاً كثيرة من الذهب كالقباب وفى داخل الأقفاص الواسعة رأى فتيات كأنهن الأقمار يخلبن لُب ذوى الأبصار فعلم الأمير أنهن أسيرات ذلك اللعين فخفق قلبه وانطلق يبحث بينهم عمن أحبّ، سأل عنها فأرشدته الأميرات إلى مكانها فانطلق حتى



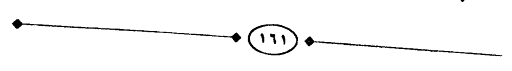
وصل إلى قبتها وحطم أقفالها ودخل ليراها بعد غياب طال حتى كوى أضلاعه ولكن ما كاد يراها حتى هاله ما رأى. لم ير أمامه إنسانا بل شبح إنسان وقد شحب لونها وزالت نضارتها وغارت عينها وتشققت شفتها وانطفأ ذلك البريق الجذّاب الذى كان فى عينيها ليس ذلك فحسب بل رأى أيضاً ما مزّق أحشائه.. رأى آثار السياط التى مزّقت جلدها وأكلت لحمها عندها صاح الأمير بصوت مبحوح تخنقه العبرات:

- مولاتى الحبيبة..

نظرت إليه الأميرة "قمر" بعينين ذابلتين وانفرجت شفتاها عن ابتسامة عذبة لكنها بائسة معذبة وحاولت أن تتغلب على إعيائها وتقوم له فأمسك بها الأمير وضمّها إلى صدره بقوة ثم أرخى ضمته ووضع رأسها علي صدره ونظر إلى وجهها دون كلام ثم أخذ يلامس بأنامله آثار السياط ويَتقلّى فؤاده كأنما يلامس جمرات من نار، سمعها الأمير تقول بصوت خافت:

- حمداً لله على سلامتك، لقد استجاب الله امنيتى بأن أراك قبل أن أموت.

ضمّها الأمير إلى صدره بقوة وقال:



- كلا يا مُنية النفس يا حياة الروح لن تموتى، فها أنا قد جئتك لنعود إلى بلادنا ونحيا معاً حياة سعيدة، لن يفرقنا بعد اليوم شيء..

ابتسمت الأميرة فى مرارة وأطبقت جفنيها الذابلين فقال لها الأمير:

- ماذا حدث لكِ يا أميرة قلبي؟

قالت فى تهالُك:

- خُيِّرتُ بين أن أحفظ لك حياتى أو شرفى وكرامة آبائى وأجدادى فاخترت أن أبقى لك أثمنهما!!

قبلها الأمير فى شعرها وجبهتها وهو يقول فى مرارة:

- كلا يا حبيبتى لا تموتى ، لا يمكن أن تموتى بعد كل ما حدث، لقد تحدّيت فى سبيلك المستحيل وحاربت كل قوى الشر مجتمعة من أجل أن أحظى بك مكافئة لى بعد ذلك. فلا يمكن أن تموتى الآن.

- هذا هو قدرى وقدرك أن نتعب ونشقى ليسعد الآخرون ولكن حسبي مكافأة لى أن رأيتك قبل مماتى وأنا ما زلت على عهدى معك ورأيتك كذلك على عهدك معى وحسبُك أنت مكافأة ما أدخلته على الآخرين من سعادة حين أعنتهم على أن يستعيدوا حريتهم المسلوبة فما

أنا ولا أنت إلا قطرات في ذلك البحر الكبير ولن يضير البحر كثيراً إذا صفا ماؤه ورقّ أن يفقد بعضاً من قطراته فحسبنا أن أدينا ما علينا.

- لو أنكِ مِتّ فسأموت بعدك، لن أقوى على احتمال الحياة أبداً..

- بل ستحيا، لا بد أن تحيا وتعود إلى بلادك وقد حَمَلت ما حَصَّلت من حكمة الحياة لتحكم شعبك على بصيرة وتقودهم بحكمة إلى طريق فلاحهم..

قالت الأميرة ذلك وابتلعت ريقها بصعوبة واستطردت:

- أما عنّى أنا فسوف يَمُنّ الله عليك بمن هى خير منى، امرأة ستحبك وتحبها وإن كان لى عندك رجاء قبل الموت فهو أن تحب هذه المرأة إذا وجدتها وأن تتزوجها وتسعدها قدر طاقتك ولا يبقى مني في حياتك إلا الذكرى الجميلة!

كانت هذه آخر كلمات الأميرة "قمر" التى قالتها قبل أن تلفظ أخر أنفاسها ثم سكن ذلك الجسد النبيل سكوناً أبدياً..

ضمّ الأمير جسدها بقوة وانهمرت دموع عينيه ثم أرخى ضمته وأراح جسدها على الفراش ونظر إلى الباب ليرى الحاجب والأميرة "رمش العين"



والأمير الصغير يقفون فى خشوع وقد علاهم صمت محزون. فمسح الأمير دموعه وقال:

- حمداً لله على سلامتك.

قالت الأميرة:

- سلّمك الله..

ثم صمتت بُرهة وقالت:

- لا ندرى ما نقول ولكن ما رأيناه الآن مزّق قلوبنا جميعاً..

قال الأمير وهو يتصنّع الابتسام مغالباً مرارة علقت بحلقه:

- هذا قضاء الله وقدره يا مولاتى الأميرة..

ثم نهض وصافحهم قائلاً:

- ماذا فعلتم مع المغوار وجنوده؟!

قال الحاجب ونبرة الخشوع فى كلماته:

- إن رجالنا ومعهم غالبية الثائرين يطاردون الآن فلول جيوش الملك المغوار أما عنه هو فقد اختفى ولم نعثر له على أثر!

قال الأمير: كيف لم تدركوه إنه أساس كل بلاء، قد يُعيد الكَرَّة مرة أخرى.



الحاجب: فليفعل إن استطاع. إننا لم نهزم يا بني إلا عندما كان لدينا الاستعداد للهزيمة. لقد كان المغوار يحاول ذلك فى أيام مولاي الملك السمندل وعجز عن تحقيق حلمه حتى واتته الفرصة بعد وفاة الملك وتنازع أبناءه. لذلك فالأمر ليس أمر "المغوار" وحده فإذا مات "المغوار" سيخرج لنا كل يوم "مغوار" أخر لذلك لابد من معالجة الأسباب التى أدت ذلك.

قال الأمير مُصَدِّقًا:

- صدقت!

ثم صمت برهة وقال:

- والآن أنا استأذنكم لأعود إلى بلادى مع ذلك الجسد الطاهر.

قالت الأميرة: - بل ستبقى وتحكم ممالك الجن!

ابتسم الأمير فى مرارة وقال:

- كيف يحكمُ إنسى ممالك الجن ثم إنى اشتقت إلى بلادى يا مولاتى الأميرة كما أن آخر ما أوصتنى به محبوبتى هو أن أعود إلى بلادي وأحسن حكم رعيتى.

قالت الأميرة:

- لك ما تريد أيها الأمير النبيل..

ثم صفقت بيديها فجاء الخادم قائلاً:

- أمر مولاتي..

فأمرته بإعداد الموكب الملكي ليعيد الأمير إلى بلاده وتم إعداد الموكب ومع إشارة الأميرة انطلق الحصان المجنّح الأول في الهواء يَجُرّ عربة تحمل تابوتاً فيه جسد طاهر مُسجًّى فارقته الحياة بعد كفاح طويل ثم انطلق الحصان الثاني يجُر عربة الأمير الكسير الفؤاد وورائهم تتابعت عربات الموكب الملكي.

***



قالت شهرزاد:

- هذا يا مولاى ما كان من أمر الأمير "جعفر" وحكايته وليس ذلك بأعجب مما جرى فى حكاية "بدر وميمون وعنقود العنب"

صاح شهريار:

انتظري!

فنظرت شهرزاد نحوه فرأته فى حالة ثورة والدموع تترقرق فى عينيه فداخَلها سرور غريب وقال فى أدب جم وعدم فهم مصطنع:

- ماذا هناك يا مولاى؟!

قال شهريار:

- ألا تدرين ماذا ؟! لماذا تميتين الأميرة "قمر" وتحطمين فؤاد الأمير الحزين.

شهرزاد: - لستُ أنا يا مولاى.

- فمن غيرك؟!

- القدر يا مولاى، القدر هو الحاكم الغالب يا مولاى ليست نهاية الحكاية بأمرى ولا بأمرك، إنما بأمر القدر.

- ولماذا يفعل القدر ذلك؟

- القدر يا مولاى لا يُسأل عن شئ فعله لِمَ فعله، ثم أن كل الأفكار العظيمة والمُثل العليا تحتاج إلى تضحيات عظيمة أيضاً..

قالت شهرزاد ذلك حين كان شهريار صامتاً ينظر فى شرود إلى الأفق من خلال الشرفة وعمّ السكون وبدأ الضوء يخفت حتى تلاشى تماماً مع انتهاء بقايا الشموع التى تضئ المكان، عمّ الظلام والسكون وكأن شهريار وشهرزاد تمثالان منتصبان فى ذلك السكون الشامل.